للحقيقة وجهان

الغرائز والشرائع

تأليف

حلمي البسيومى

حلمي البسيوني

الغرائز والشرائع

للحقيقة وجهان

رواية

الطبعة الأولي

٢٠٠٩ – مؤسسة صوت القلم العربي ١٤٣٠

جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

رواية / للحقيقة وجهان

المؤلف / حلمي البسيومي

صوت القلم العربي



الغرائز والشرائع .. للحقيقة وجهان ...

حلمي البسيوني

أمام المرآة

يقف في غرفته المطلة على حديقة الفيلا المكونة من طابقين واسعين في عمان الغربية الراقية ، يقف بكل شموخ واعتزاز يتأمل هندامه بعد أن ارتدى ملابسه الأنيقة التي تنم عن ذوق رفيع باهظ الثمن ،ساعته الذهبية التي تدل على الراحة المادية، لقد اشتراها من لندن في آخر زيارة له قبل أشهر ، خاتمه المرصع بالماس لقد قام بتفصيله لدى الصائغ الذي يتعامل معه بعد أن تخيله مرارا في يده منذ قرابة العقدين من الزمن ، يتأمل هندمه في المرآة لكنه يخشى أن ينظر إلى عينيه .

صوت خطواتها تأتي من المر ورائحة القهوة تصل إلى حواسه ، هي ذاتها لم تتغير نفس الرائحة المطبوعة بالذاكرة ، ربما كانت رائحة فنجان القهوة تنعش ذاكرته التي عمل جاهدا ليمحوها ، يتناساها ، يلعن ذكراها ،لكنه أحبها وأحب مذاقها الذي لم يتغير برغم اختلاف الفنجان .

كان في الماضي قهوة بفنجان أما الآن .. فنجان قهوة باهظ الثمن ، لكن الرائحة والنكهة لم تتغير .

صباح الخير ، ما هذه الأناقة؟ مع ابتسامة ناعمة هادئة تضع الصينية على طاولة القهوة المقابلة للأريكة .

(منى) تزيح الستارة عن النافذة فتدخل الشمس على استحياء،شمس الشتاء وتنعكس على المرآة فيضيء وجهه ويبتسم ، لطالما احتاج إلى ضوء لكي يستطيع أن يرى نفسه ، لطالما عمل جاهدا ليكون تحت الأضواء ومحط أنظار، لم يجرب يوما أن ينظر إلى نفسه بلا ضوء يحميه من العتمة التي تكتنف روحه ، الظلمة ،الحزن، التحدي ، الفشل، الماضي، البداية.

لقد فعلها مرتين في حياته تجرأ على نفسه وتأمل دواخله بلا ضوء يحميه فكان الموت وجها لوجه .

في المرة الأولى في سن السادسة عشر ،لما انكسر قلبه وأحب فتاة اكتشف أنها أخت له في الرضاعة.

والثانية،حين أدرك في الثالثة والعشرين من عمره أنه غير قادر على تحمل مسؤولية عائلته الصغير ،المكونة من زوجة وطفلين ،نظر في وجوههم وفي مرآة نفسه فاعتقد أن موته خيرٌ لهم من حياته. ستة وثلاثون عاما هي عمره ولم يجرؤ على مواجهة نفسه إلا مرتين،نجا منها بأعجوبة أم أنه أراد لنفسه النجاة ، أراد فرصة أخرى لعله يوما يواجه نفسه المعتمة فيجد بصيص من نور.

صباح الخير يا وجيه ، صباح الخير لماذا تأخرت القهوة؟ يسأل منى ويبتسم ،

تتأمله بنظرة فاحصة مع ابتسامة عريضة ، عيناها تشع من السعادة والفخر به ، وبما أنجز ...

يبتسم ويجلس بجانبها على الأريكة المقابلة للنافذة ، وشعاع الشمس الدافئة يتلاقى مع وجهه فيصلح لون الجزء الداكن حول عينيه،الذي تكون من السهر والشرب وغيره ....

تتأمله بحب وتبتسم ، كانت ترى انعكاس الضوء على وجهه فيبدو متألقا وقويا .

لقد أحب أن يرى نفسه من خلالها ، لآنها كانت تراه من منظارها زوجها وحبيبها ورفيق شبابها وجيه، ...

سبعة عشر عاما مضى على ارتباطها به ، أحبته بكل جوارحها وكرست نفسها لتكون الزوجة والصديقة والرفيقة ، كانت تراه مثلما لم يره أحد حتى ذاته .

ذاته التي طالما تمنى أن يكون في حالة سلم معها .

ذاته التي تمنى أن يفهمها ،أن يترجم حروفها المبهمة ويجمع كلماتها ويكون جملة ،تكون وصفه .

يحتسون القهوة .

كيف أبدو !! يسألها .

تجيب مني.. وجيه بالاسم ووجيه بالشكل لم أر أجمل منك رجلا، وسيم وشاب وأكثر أبناء جيلك نجاحا ، وهل هناك امرأة تتمنى أكثر من ذلك !

كان وقع كلامها على نفسه يزيده ثقة ، ولكنه يثقل كاهله إذ يعتبر رأيها به ووصفها له هو الأمانة التي يجب عليه أن يبلغها . هكذا كان يبدو لكل من هم حوله.

لطالما أراد أن يرى نفسه كما يراه الناس . لطالما أراد أن يكون الناس مرآته ، لقد كان يعرف أن الحقيقة هي انعكاس الصورة التي لا يراها إلا نفسه عندما يمعن النظر في المرآة بلا ضوء كاذب يأتي من الآخرين أو من خلف الستارة .

الحقيقة المجردة القابعة في أعماق الظلمة التي تكتنفه منذ طفولته المبكرة .

واجهها مرتين وكان على وشك أن يقابل نفسه وجه لوجه لكنه هرول مسرعا هاربا مذعورا منها إلي أقاصي الأرض ، عمل جاهدا ألا يقابلها مرة أخرى، هرب من نفسه مبتعدا عنها وكان يعلم في قرارة نفسه أنه سيواجه نفسه يوما ، إن لم يكن باختياره فرغماً عنه.

(منى) تسأله : هل ستتأخر اليوم؟

لا أعلم يجيب وعيناه هاربتان من عيناها ، فلقد كان يستشعر الخطر من عيونها عندما تسأله عن شيء يخفيه .

وكان دائما يخفي الكثير عنها.

منى :حاول ألا تتأخر فلقد مضى وقت طويل من الزمن ولم نجلس سوية مع أبنائنا ومضى وقت أطول لم نخرج حتى لزيارة أحد ، حتى والدتك .

وجيه: نعم اعلم ذلك ولكنني مشغول والجميع يعلم ذلك .

اعلم أنك مشغول كان الله في عونك .. لكن!

لكن ماذا! : منى أنا لست في مزاج للنقاش ، على أي حال لقد تـأخرت يجب أن أذهب .

تساعده منى على ارتداء معطفه الشتوي الباهظ الثمن ، لقد ابتاعه مـن ألمانيا في آخر زيارة له .

منى: تتمتم مبتسمة ...عيني عليك باردة اللـهم لا حسـد ، مـا أجمـل طلتك يا زوجي الحبيب ....

أخاف عليك الآن من النساء اللاتي سوف تقابلهن اليوم ولو بالصدفة ، تقولها مبتسمة مبتهجـة ،أو مدعيـة الابتسـامة ،فقـد كانـت تعلـم في قرارة نفسها أن لوجيه أسراره وعلاقاته التي لا يفصح عنها .

لم تكن منى تبذل جهدا لمعرفة ما يخفي ،لأنهـا كانـت تعلـم طبيعتـه العصبية ،ربما لأنها لم تكن تريد أن تُصدم بالحقيقة.

يبتسم بثقة :يلبس قبعته السوداء التي أعطته وقار الرجولة المقرون مع الشباب، والتي أخفت المساحة التي نال منها الزمن من شعره الأسود الذي فقد الكثير من كثافته .

ليس لسبب وراثي بل بسبب كثرة تغير المناخ والماء الذي يستحم به خلال ترحاله من بلد إلى آخر ،لقد كان كثير الترحال.
كان قادرا على إخفاء الفجوات التي تكتنف نفسه ،كان يراها بوضوح، وكان يحسن إخفائها كي لا يراها غيره .

يلقي النظرة الأخيرة على المرآة، يتناول علبة السجائر ويحرص أن يحمل القلم الذهبي، ولاعة (إس تي ديبو) باهظة الثمن ، وهاتفه الجوال الأغلى ثمن.
يغادر الغرفة نازلاً إلى الصالون المؤدي إلى البوابة الرئيسية للفيلا .

تودعه مني بقبلة شغف ، وكأنها تحاول أن تختزل في صدرها أكبر حد من عطره المميز ، ومن رائحته جسده التي طالما أحبتها وتغزلت بها .

يخرج متجها إلى المرأب الذي يضم بين أسواره سيارته (الرنج روفر) والتي كانت مصدر فخر له وأكبر دليل على نجاحه العملي.

لقد كان لها الأثر الذي لا ينساه من يراه يقودها،كان قد اشتراها مستعينا بقرض بنكي كبير ، أقساطها تثقل كاهله .

ولكنه أراد منها أن توصل رسالة لكل من هم حوله.

وكأن لسان حاله يقول لمن يراه: إذا لم تدرك نجاحي.

إذا لم تكن تعرف قيمة ملابسي ، ساعتي(الرولكس)،خاتمي الماسي،قلمي الذهب، عطري الفواح، الآن سوف تدرك من أنا .

فهذه سيارتي التي لا يقتنيها إلا علية القوم .

هذا ما أراده للناس أن يعرفوه ، ولكن لم يكن أحد يعلم حقيقة الحقيقة،وكأن همه الوحيد كان أن يجني حسد الناس له ، وغيرتهم

منه وتبجيلهم لـه ،واقتـدائهم بـه ليتسـنى لـه قيـادة أكـبر عـدد مـن مجتمعه.

حتى أقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه ،لم يستطع أن يكـون صـريحا وصادقا معهم.

*أمه الحاجة (أسماء): التي غادرها زوجها منذ سبعة وثلاثـين عاما متوجها الى عمله في رحلته إلى الكويت وكانت في الثامنة والثلاثين مـن العمر.

غادرها زوجها الكادح باحثا عن رزق يكفي عائلته المكونـة مـن زوجـة وسـبعة أطفـال ، وجـنين في رحمهـا ،غادرهـا في يـوم خريفـي مودعـا أطفاله بكل ألم وأمل أن يعود بعد عام ليكمل ما كـان قـد بـدأ مـن بنـاء مستقبل لعائلته .

وكأن لسان حاله يخاطبهم ببريق عينيه: عام آخر من الغربـة والفـراق وأعود لأكمل ما قد بـدأت مـن بنـاء ولنسـتقر للأبـد لاحتضـنكم للأبـد لأربيكم كما يجب.

لكي أراكم تكبرون أمام عيني ، وافرح لكم وبكم ، كي أعلمكم، ، وتكبرون وأكبر بكم، كي أزوجكم وأحتضن أحفادي ، وأعوض نفسي عن احتضانكم .

مستقبلكم يا أبنائي أمانتي ،هي ذاتها أمانتي التي أبعدتني وغربتني عنكم ،لكنني سأعود، سوف أعوضكم وأعوض نفسي عن أول خطوة خطاها أحدكم ولم تكن يدي بيده لتسانده .

عن أول كلمة نطقها أحدكم ولم أكن هناك لاحتضنه وأشجعه كأنه يقول لها: أنا عائد يا حبيبتي وزوجتي أسماء ،أنا عائد يا محاربة لتستريحي .

لكنه رحل ولم يعد........

فقد كان الموت بانتظاره هناك ، مات غريبا وحيدا ،لفظ أنفاسه الأخيرة .

سيارة فارهة يقودها شاب ثري من أبناء الكويت تصدمه، وهو ذاهب لشراء خبز قبل صلاة المغرب في ٢٧ رمضان لكي يقتات بعد يوم صيام شاق وموحش وحار.

مات وجيه الأب غريبا ،وحيدا ، صائما، جائعا، ظمئان ، مات حزين لأنه لم يكمل الرسالة ولم يؤد الأمانة لعائلته ولم يف بوعده لهم بأنه سوف يعود.

هذه أمه (الحاجة أسماء)، التي كان يخفي الحقيقة عنها ، لقد كان وجيه هو الجنين الذي لم يقدر له أن يقول كلمة أبي ،والدي، سندي .

ولد وجيه الذي كان الجنين المجهول بعد ستة أشهر من موت أبيه.

سميَ إحياء لذكرى أبيه المرحوم وجيه الأب ،ليبقى اسمه يتردد في أرجاء المكان وقلوب العائلة.

جاء إلى الدنيا فرضا وليس اختياراً

لقد حاولت الزوجة الثكلى أن تجهض مرارا وتكراراً

من هي الأم التي تتمنى أن يولد طفلها فلذة كبدها يتيما !

لكن القدر شاء أن يأتي إلى الدنيا ، ويكبر ويترعرع في أحضان أم حنون،لفرط حنانها أثرته على نفسها فأرادت أن تجهضه لصالحه، وكأنها كانت تعلم مدى معاناة من يولد بلا أب،حاولت أن تحميه من الحياة.

الحياة بقسوتها الواضحة منذ بدايتها بإجهاضه وتخليصه من مستقبل معتم ،مستقبل يخبئ له الكثير من الحزن والشقاء لكنها لم تنجح بإجهاضه .

لقد كانت الحاجة (أسماء) خير من يؤتمن ، لقد كافحت وناضلت لأجل أطفالها وكانت خير من يكمل الرسالة ،برغم ضيق الحال وبرغم أنه لم يكن أحد هناك ليساندها ويشد من أزرها .

لقد كانت وحيدة ،عائلتها تقطن في بلد آخر .

لم تكن الحاجة (أسماء) متعلمة بل بالعكس كانت أمية.

لكنها استطاعت أن تدير أحوال عائلتها بقليل مما ترك المرحوم

وجيه،ولم تكن ترضى لأبنائها وبناتها بالقليل ، بل العكس كانت لا ترضى إلا بالأفضل .

زوجت بناتها الخمسة برجال صالحين بعد أن أتموا دراستهم .

واستطاعت أن تكبح جماح ابنها الأكبر.

* (صدقي وجيه) الذي كان في العشرين من العمر ،وأراد أن يتحمل المسؤولية عنها بان يترك الدراسة لكي يعمل ويساندها. لكنها أبت،وأصَرت وصبرت حتى أتم تعليمه ولما أختار ولدها الأوسط.

* (مجدي وجيه) أن يتم تعليمه في أمريكا في زمن لم يستطع معظم الرجال عن تحمل نفقات الدراسة في الجامعات المحلية. أرادت أن تقدم لفقيدها من إنجازات ما لم يستطع،هو ذاته أن يفعل لو كان حياً،وكأنها متأكدة أنه معها يراقبها من السماء ،ويبتسم لها كلما أكملت واجبا على أكمل وجه ،فتبتسم روحها له وتعده بالمزيد. أما لقب الحاجة الذي يسبق اسمها ، لأنها أدت فريضة الحج مرتين ،

إحداهما كانت لروح زوجها المرحوم وجيه،الذي ربما لو قُدر له الحياة لما استطاع أن يحج.

كانت تريح ضميرها بعد كل إنجاز ،بزواج بنت أو نجاح ابن أو تفوق آخر ،وكأن لسان حالها الذي لا ينطق يخاطب فقيدها متسائلا،هل أنت راضٍ يا حبيبي في السماء!.

كانت مثال الأم لأبنائها ، مثال الوفاء لفقيدها وروحه التي لم تغادرها يوماً .

* (وجيه) لم يتمم دراسته رغم محاولاتها المتتالية ودعمها .

لكنها لم تستطع لأنه كان من النوع العنيد الذي لا يروض ،كان عنيدا في أحشائها فأبى أن يغادر رحمها عنوة ،سَلَكَ وجيه إتجاه آخر لم تكن الأم أسماء راضية عنه كل الرضا ،لقد كانت تخشى دائما أن تتهم

بأنها لم تستطع حمل الأمانـة، لكنـه كـان منـذ صـغره صـاحب حجـة وقرار وقادر على الإقناع.

قد استطاع في بداية حياته المهنية أن يثبت ذاته لها ،مما أرضاها لكـن على مضض.

ولكنه لم يكن قادرا علـى أن يصـارحـها بكـل شـيء، لان أصـعب شـيء برأيـه يقـدم لهـذه الأم العظيمـة : هـو الخـذلان ،كـان خائفـا مـن أن يخذلها،فاختار أن يعلمها عن حياته ما يسـعدها ويـثلج صدرها فقط ،وأن يخفي عنها كل ما يكدر صفوها.
خوفا عليها من الشعور بالإخفاق.

لقد كان يتبع نفس الأسـلوب مـع جميـع مـن حولـه ، يقـنعهـم ويـنـال إعجابهم ورضاهم وحتى حسدهم.

في طريقه إلى السيارة ، نظر حوله وتأمل بيته (الفيلا) التي يقطنها تأمل الزرع والأزهار وتفاصيل الحديقة والنخلة المزروعة في الجهة الغربية للحديقة الأمامية التي دفع ثمنهن باهظا لأنها كانت تعني الثراء من وجهة نظر الكثيرين .

تأمل كل شيء بإمعان لكنه لم يشعر بأي انتماء. وكأنه ضيف على هذا البيت أو كأنه في حلم ،حلم يأبى أن يستفيق منه .....

كانت أحلامه بلا أماكن أو أسماء فكل ما قد يراه في أحلامه : نفسه ، لقد اعتاد وجيه الأحلام لدرجة أنه مزج الحلم بالواقع والواقع بأحلامه فأصبح مزيجا من اللا واقع واللا حلم .
بين الحقيقة المقرونة بالخيال ،هكذا أمست حياته تائهة بين حلم يمشي بأثره ، فلم يكن عنده أي انتماء لمكان أو زمان ،كل ما يشغله تحقيق أحلامه التي لا يعرفها، أو لا يعرف نهايتها .

مثل العداء الذي يمر من أماكن جميلة خلال عدوه، لكن تركيـزه علـى خط النهاية غير آبه بالأماكن الـتي يمـر بهـا، غـير مـتفحص لجمـال المنظر أو قبحه لا يرى أحد ممن يمر بهم مسرعا .

انطلـق بسـيارته متـأملا مـن حولـه مـن السـكان الأثريـاء والعـاملين بالمنطقة، معتذاً بنفسه ،يمر من شارع المطـار والـذي يـربط بـين بيتـه ومكتبه وهو شارع لا يقطنه إلا الأغنياء وأصحاب المراكز المهمة.

وبعـض السـكان الأصـليين للمنطقـة الـذين لا زالـوا يعملـون في تربيـة الماشية والدواجن، التي تدر عليهم القليل من الدخل ، ويقطنـون علـى أراض تقدر بالملايين يستطيعون أن يقطنوا في قصـور وأن يقتنـوا أفضـل السيارات ولكنهم يؤثرون التنقل بسيارات الأجرة ويقطنـون في بيـوت بسيطه وحقيره أحيانا جنب إلى جنب مع مواشيهم ودجاجاتهم .

هؤلاء الناس أخذوا الموعظة ممن سبقهم ،فلقد مروا بأقارب لهم أو أناس سمعوا عنهم ، باعوا كل ما لديهم شيئا فشيئا حتى أفلسوا وانتهى بهم المطاف بمهنة سائق تكسي أو صاحب مكتب عقاري بدأ بأرضه، ثم بأراضي أبناء عشيرته ممن يقتنع مثله بتغير مصيره ، يعتقد بعضهم أنه يعلم ما لا يعلمون ويضحك منهم إذا لم يزوروا أماكن اللهو ولم يمضوا ليلهم مع نساء الليل .

يهزأ بهم إذا لم يكونوا يعرفون معنى كلمة بنت ليل باللغة الروسية حتى أن بعض منهم يتقن اللغة الروسية أكثر مما يتقن لغته الأم ،لأن طعم الحياة برأيهم هو ممارسة الجنس مع أنثى روسية تعمل في بار أو ملهى ليلي.

وهن كثيرات العدد ،ولكي يصل إلى مراده يتحتم عليه أن ينفق الكثير ليثير إعجابهم بما في جيبه ،ولأنه يعلم في قرارة نفسه أن قيمته بما يملك من مال وأن قيمته بلا هذا المال ..هي لا شيء ...!!

فهو يفتقر إلى ثقافة التعامل مع الأنثى ،ومظهره ومنظره ورائحته لا تؤهله من أن يدخل قلب أنثى أو يترك بصمة في ذاكرة أنثى ،ينفق كل ماله ويستدين، لا لإشباع غرائزه الجنسية فقط بل لملئ الفجوات والحفر الموجودة في نفسه المشوهة من الداخل، ولا يستطيع وجيه كان لا يحبذهم بشقيهم.

من باع منهم ولم يستطع أن يغير مصيره ووجه حياته ،بالرقي والعلم والثقافة والعمل وخوض التجارب .

ومن تمسك منهم ولم ينساق أو يجرء على المحاولة في تغير نفسه وتثقيفها ،لعدم ثقته بثقافته ونفسه.

ولعدم قدرة غرائزه المكبوتة على الانفجار والتحرر من احتلال وغطرسة وقيود العادات والتقاليد ، ولهذا السبب لا يزال يعيش مثل سكان الكهوف .

لكن وجيه لم يكن يمانع أن يتعامل معهم لأنهم يعاملونه كألهه ،آلهة التفوق والنجاح ،في العمل،وثقافة الغير،وقدرته على أن يكون مرغوبا لدى النساء وغرائز النساء .

كان يجالسهم عندما يضطر فتراهم خاشعين فاغرين أفواههم وهو يتكلم عن مغامراته وتجاربه وانتصاراته، وكأنه يحكي لهم قصصا من كوكب آخر ، عندما كان يتكلم عن المال كان يتعالى ويعتبره أسهل شيء يمكن للإنسان أن يحصده .

وعندما يتكلم عن النساء ،كان يثبت لهم قدرته على أرض الواقع إذ يدعو إحداهن، من فتيات أحلامهم إلى طاولته.

روسية كانت أو من روسيا البيضاء أو اكرانيا ويحادثها فيصل إلى النقطة.

التي تمكنه من التأثير عليها ،فينعكس التأثير ليصبح واضحا عليها، ملامحها وابتساماتها ولمساتها ،فتصبح صديقه له بفترة وجيزة لا تتعدي دقائق الحوار البسيط .

لم يكن جلسائه يعرفون طبيعة العداء بين الأكرانيه والروسية على سبيل المثال وما فعل تفكك الاتحاد السوفياتي بهم وما أظهره من كره وعداوة لبعضهم .

ما كانوا ليميزوا الاكرانية عن الروسية ،فتجد أحدهم إذا ما ملم من ذاكرته وكل ما تعلم من لغة إنجليزيه ،فيقول للأكرانيه أو اللتوانية (أنا أحب الفتيات الروسيات لأنهم طيبون) فتبتسم باستغراب وكأنها تتقبل الإهانة لكي تحافظ على عملها ،فيظن أنها علقت بشباكه من ابتسامتها له .

كان وجيه يسعده تفوقه وتميزه عليهم ،كان يستشعر من عيونهم اعترافهم بتميزه .

وقبل انتهاء الجلسة بدقائق ،يعترف لهم بكل مكر بأنه سعيد بحياته وإنجازاته .

أن كل ما ذكر لهم وما عرفوا عنه وما رأوه بأعينهم ،ما هو إلى باب يسير من أبواب السعادة بنظره لأن طموحاته كبيرة .

بالنسبة لهم أن نجاحاته ،التي يرونها من وجهة نظرهم، لهي أقسى ما يستطيعون أن يحلموا به ،بل هي السعادة بعينها !!

أما وجيه فقد كان خير من يصور ويصف السعادة للآخرين ،مع أن قرارة نفسه تعلم أنه لم يلتقيها من قبل ولم يشعر بها كما يترجمها لهم.

وما تصوره للسعادة إلا محض افتراء وادعاء وكذب،ليصل إلى ما في جيوبهم من خيرات ورثوها ،لم يكدوا ويتعبوا لجمعها .

إذا كانت الصداقة من أركان السعادة،أو كانت الصداقة تشترى فقد اشترى وجيه بعض صداقاته .

بمساعداته المالية منها والمعنوية وبناء المصالح المشتركة تحت مسمى الصداقة.

لقد كذب وجيه على نفسه وأقنعها وصدق كذبته عن الصداقة ، وحتى أصدقائه (شاهر) و (عناد)،فقد كانوا من صنع يديه !!

صـنعهم بمـا يتناسـب مـع حاجاتـه ومتطلباتـه العاطفيـة،والمعنويـة والمادية، صنعهم ليصفقوا له بعد كل انتصار.

ربما كانت السعادة باللهو والإغداق على نفسه بـترك جماح غرائـزه الجسدية، فقد أغدق على نفسه ومن اشتراهم من أصدقاء.

حتى وصل التخمة من نساء وخمر وسهر وسفر ،لكنه كان يمر مسـرعا مثل العداء فلا يستمتع أو يستطعم بشيء .

يشرب الخمر ليهرب من واقعه ،ويحاول أن ينسى ما يريـد نسيانه، لكـن تـأثيره كـان عكسـي فـلا ينـال إلا مواجهـة مـا أراد الهـروب منه،وتذكر ما أراد أن ينسى.

بالإضـافة إلى الصـداع الـذي يخلفـه مفعـول الخمـر في الصـباح عنـدما يستيقظ ليبدأ يوما جديد.

ربما كانت السعادة بالعطاء

أعطى من غير حد لكنه نسي أن يحب من يعطيهم أو أن يغوص ليعرف احتياجاتهم ،كان يعطي أسباب السعادة من وجهة نظره .

ولكنه لم يكن قد عرف السعادة أصلا ،فكيف به أن يعرف متطلباتها وأسبابها.

ربما الحب من أركان السعادة .

لقد أحب بعنف حتى قسى على نفسه وعلى من أحبه ،حتى في أعلى درجات الغرام نسي من أحبوه فجرحهم وأدماهم .

لقد أحب بقسوة وخشونة ...

وجيه إنسان يحصد بلا زرع، ويلهو بلا فرح ويعطي فيؤذي بعطائه، ويعشق فيجرح بعشقه ، لكنه لا يزال يبحث عن السعادة.

يبحث عن مكوناتها وأسبابها .

لم يلتقيها بعد ،لم يصلها ويصافحها ويتعرف بها .

دخل إلى مكتبه بعد أن أعطى مفتاح السيارة إلى فيصل الحارس الشخصي والذي كان ينتظره على بوابة العمارة .

فيصل كان من متطلبات المظاهر بالنسبة لوجيه مثله مثل السيارة والساعة والفيلاً .

صباح الخير معلم وجيه ، كلمة كان يسمعها كل يوم مئة مرة .

كانت تطربه كلمة (معلم وجيه)

صباح الخير يا صبايا، صباح الخير شباب .

يردون مجتمعين صباح الفل أو الورد أو الخير ،كل حسب لغته وطموحاته وأطماعه ومخططاته لليوم فهم الموظفين لديه بمرتبات مرتفعه .

في غرفة مكتبه التي تتوسطها نافورة ماء مليئة بجميع ألوان الورد والأزهار ينبعث منها رائحة عطره وصوت خرير الماء يضفي على الجو العام نوعا من الراحة .

تتناغم ألوان الجدران مع الإنارة واللوحات الفنية تتناثر برقي وذوق وتناسق على جدران المكتب وتضفي نوعا من ثراء المظهر ، لقد كان وجيه يهتم جداً بالمظاهر ربما لأنه كان يفهم الناس ويعرف نقاط

ضعفهم ،لقد استعمل مظهره ومكتبه وتفاصيل البذخ والسهرات التي كانت تقام على شرف أحدهم كسلاح لكسب معركة قناعته أن الرأسمالية كنظام حياه معناها حرب يجب أن تخاض يومياً ومع أي شخص بغض النظر عن الصلة ...

نظام طاحن يقضي على كل ما هو إنساني ،،

كان يضحك عندما يسمع من يحاربون لأجل حقوق الإنسان وكأنه يقول إن الذرائع التي يتخذها من يطلقون على أنفسهم بالديمقراطيين ما هم إلا طغاة أسسوا نظام حياه ووضعوا قوانينه وأنظمته بما يتلائم مع احتياجاتهم .

يحاربون وينادون بحقوق الإنسان وهم أول من امتهن حق الإنسان بالحياة الطبيعية البسيطه بنظامهم المبني على هواء ما هو إلا ضوء ملون يسرق الألباب ويفتتن به الإنسان.

نظام يسلب حق الحياة التي أرادها الخالق لخلقه .

الإنسان هو ذاته الطفل الوليد الذي يغري أمه بابتسامة كي تحمله أو

ترضعه، الصبي الذي يبحث عن رفيق يملك كرة أو دراجة هوائية هو لا يملكها لكي يلعب معه ويستمتع .

الإنسان هو شابٌ يبحث عما يلبي متطلبات غرائزه ويرضي من هم بحاجة للرضى عنه بعلم أو عمل أو مادة.

لكن أنظمة الحياة الطاحنة،حولته الى أداة، الإنسان هو مخلوقٌ يؤذي ليتجنب الأذى لنفسه وعائلته... إنه وجيهِ الإنسان .

*** *** ***

الخداع

الخداع

إن من أغرب الغرائز الإنسانية ، هي قدرته على خداع الآخرين ليس بالضرورة الخداع الذي يسبب لهم الضرر.

بل بالعكس يمكن للخداع أن يكون في صالح الآخرين لأنهم هم من اختار أن يصدق ما هو غير حقيقي ،الضوء الملون الذي يشبه قوس قزح بألوانه ولكنه مزيف.

لكن الخداع هو هروب من قناعة الإنسان بذاته أو بقدراته ومقدراته ، هو نوع من الأقنعة التي يلبسها المهرجون ليخفوا ما في دواخلهم من عيوب ويخفوا ما في نظراتهم من حزن أو ألم أو شذوذ عن المألوف .

الخداع هو خداع الذات فمن الضروري أن يتمكن الإنسان من خداع نفسه أولا ليتمكن من خداع الآخرين .

بدايتاً مع أمه (والدته)

لكل إنسان أمٌ يخدعها، يبدأ الإنسان مشوار الخداع عندما يوحي لامه بأنه كامل وأنه ناجح ويحاول أن يخفي عيوبه التي لا يراها غيره، يخدع بأن يحاول ألا ترى أمه إلا ما تحب .

ولكي يستطيع فعل ذلكِ فيجب عليه أولاً أن يخدع نفسه ليبدو راضيا عن ما لا يحب .

فما أن يتخطى الإنسان هذه العقبة ، إلا وتصبح صفة الخداع من أساسيات تكوين شخصيته ، وليس كل إنسان قادر على ذلك ربما لان تكوين الإنسان يختلف من شخص لآخر كما يقول علماء الجينات والوراثة .

ولكن وجهة النظر الأخرى هي أن صفات الإنسان وخاصة صفة الخداع تستمد من حاجة الآخرين ،حاجة المجتمع الذي يحيط بالإنسان .

بدايتاً المجتمع الصغير المسمى العائلة ومن ثم المجتمع الكبير الذي يسمى الدنيا بما فيها ومن فيها.

قد يفهم الإنسان منذ الطفولة المبكرة حاجة الآخرين، بدايتا بأبويه وإخوانه وأخواته ، إذا كانوا بحاجة للمرح ، يمرح وان كانو بحاجة للصمت يصمت، وان كانوا بحاجة للنجاح يوهمهم به ، وإن كانوا بحاجة للكمال يخدعهم بأنه الكامل الذي يرضي احتياجاتهم ويدفن الحفر الموجودة في فراغاتهما .

عند هذا الحد يكون الإنسان جاهزاً ليتعامل مع العالم الخارجي عادتاً حتى عالمه الخارجي ليس من اختياره بل من المفروضات عليه مثل الأقارب والمدرسة والشارع والبقال والخباز وحتى الزبال .

يتطور الخداع ليصل إلى ما وصل إليه الإنسان من علاقات فرضت عليه وليست من اختياره .

برغم كل ما أسلف لقد نسي الإنسان نفسه ، صدقه مع نفسه لأنه لما بدأ الخداع بدأه بنفسه ، فما أصعب أن يبحث الإنسان في أعماق نفسه عن نقطة صدق ، عن مساحة ولو صغيرة من تكوينه ليست مشوهة .

يمكن للإنسان أن يقنع كل من حوله بأنه ناجح من غير أن يقول حرفا، ويمكنه أيضا أن يقنعهم بأنه غاية في السعادة برغم حزنه وأن يقنعهم بالاستقرار وهو في غاية التشتت ، وأصعب ما يقنعهم به أنه في البداية والحقيقة أنه على أعتاب النهاية.

لهذه الدرجة يصارع الإنسان ولا يرى صراعه غيره . لا يشعر أحد بتعبه وإرهاقه وألمه غير نفسه ،هي ذاتها نفسها التي بدأ بها فخدعها ..!!!

احتال عليها لما حَوّلَ إرادته بالبكاء إلى ابتسامة كاذبة واهمة .

هو ذاته الذي حول غرغرة عيناه من دموع إلى غرغـرة يراهـا الآخـرون شعاع السعادة والذكاء .

هو ذاته الذي خدع صوته بإرادته ، مـن أن يكـون صـوته حـال نفسـه فيقول الآااه ألماَ ، وحزناَ و حرماناً ، خدع صوته فغنى وأطرب ! !

إن مـا يحمـي الإنسـان: هـو الخـداع كصـفه تمتـد جـذورها إلى تـاريخ ولادته.

ليس هناك حرب أكثر ضراوة من حرب شنها الإنسان على صفاته التي اكتسبها أو ورثها في جيناته .

وكـثير مـن النـاس لا يخوضـون هـذه الحـرب الشرسـة ،ومـنهم مـن يخوضها وينتصر فيرضي ذاته لكنه يغضب آلهتـه بمضـمونها ولـيس بمعناها العقائدي ،

هل النصر هو ما يكتسب، أم النصر هو ما يخسر ..؟!

إنها حرب ...، وعلى من يشنها أن يحدد مفاهيم الربح والخسارة وهذه مسألة نسبية تختلف من إنسان لآخر ..

لكل إنسان آلهته غير الله، والرب، واليسوع، وبوذا، والبقرة، والفأر، والفرج وغيرهم من آلهة تربطه بدينه وعقيدته، بل آلهته التي يراها ويتجاذب أطراف الحديث معها ويجادلها وتصرخ به وتعنفه وتعاقبه وأحيانا ترضى عنه فيرضى عن نفسه ، ربما كانت آلهته هي ذاتها نفسه .....

ليس هناك إنسان يعرف ذاته يستطيع أن يدعي الصدق ، حتى هذه الصفة غير الموجودة ولكنها موجودة مجازاً .

يمكن أن يكون الإنسان صادقا مع الآخرين لكنه لا يمكنه أن يكون صادقا كصدقه مع ذاته، ومن يدعي غير ذلك ، لن يجد فيه بقعة غير مشوهة في أعماق نفسه ،عندها لن يجد له موطئ قدم يقف عليها لمواجهة حربه مع ذاته ، أو سلامه معها .

نكذب عندما يسألنا أحد كيف حالك،فنبتسم ونقول بخير وعلى ما يرام،مع أننا ربما بعيدون عن الخير وعن المرام .

نخدع عندما نقنع الآخر بغير الحقيقة لكي يسعدوا بنا ويصفقوا لنا ويقدسوننا ونكون مثلهم الأعلى ، وهكذا تدور عجلة الإنسان ،عجلة الدنيا .

أنا قادر على الخداع،،، إذا أنا موجود وسأبقى في الذاكرة. !!

أما النقيض : إن تكن ناسكا في مغارة أو صومعة على قمة جبل لا يصلك أحد.

لا تجالس إلا نفسك ولا تحادث غيرها ، لا يربطك أو يقيدك شيء بمن هم في أسفل الجبل ،

هكذا يعتبر الإنسان نفسه غير مخادع ، فقط إذا ابتعد عن أبناء جنسه ووجد له طريقا في نسكه ، لكنها ليست الحقيقة .

لأن الخداع غريزة مثلها كمثل كل الغرائز الروحية منها والجسدية، كيف لأي إنسان أن يعيش إذا لم يأكل ؟

كيف يستطيع الإنسان أن يأكل من غير أن يخدع السمكة التي يصطادها بطعم ، لقد خدعها واحتال عليها حتى أكلت الطعم ! !
يخدع الدابة التي يقتات الإنسان عليها ! !
فمنذ الأزل وتحديدا الإنسان الأول ،تلون بلون الشجر وحفر الحفر ودججها بالفخاخ كي ينال لحم الدابة ،أرنب كان أو غزال أو عجل ، وعندما تطور الإنسان لجأ لخديعة أخرى وطرق عديدة فلقد هيمن الإنسان على شريكه الحيوان فاحتواه قصراً ووضعه في زرائب لا لكي يكون صديقه بل ليكون ضحيته التي يقتات عليها فهل لذاك الناسك في مغارته أعلى الجبل أن يعيش بلا طعام ، وكيف سيأكل ! !
إذا يجب عليه أن يخدع ليعيش،فأصبح الخداع من المفروضات والمسلمات.

لقد خلق الإنسان، وخلقت معه حاجاته التي تبقيه حيا ،مهما اختلف المكان والزمان والحضارة ،فاحتياجات الإنسان ستبقى كما هي إلى أن يغادر بلا عوده ويورث حاجاته لأبنائه .

وحاجات الإنسان مبنية على خداع الآخرين ،نفسه أولاً ، عائلته،مجتمعه ، شركائه على كوكبه.

إن المحتال الذي يقبع في سجن ليس بأسوء من ناسك أو شيخ أو راهب أو عالم.

لكن النسبية ما جعلته مجرماً بوجهة نظر الآخرين . احتياجات الإنسان ليس لها مقاييس لتناسب كل إنسان فهي باختلاف من إنسان إلى آخر.

ما يحتاجه الإنسان في أفريقيا ببلدة نائية موبوئة يختلف عما يحتاجه شخص يعيش في بلد متقدم ومزدهر .

لكل منهم احتياجاته ومتطلباته ، التي ربما يضحك أحدهم سخرية من احتياجات الآخر .

إن من يقبعون في السجون ويتحاسبون بنص القانون ،من احتال منهم من أجل خبز ومن أجل برج ،كلاهما محتال أو مخادع.

ومع ذلك ينالون نفس العقاب وربما صاحب البرج ينال احتراما وتقدير من يحاكموه وربما يكون حكمه مخففا لان احتياجاته جعلته يسموا ما فوق الغريزة ليجتازها فيبدع .
إذا كان الخداع رد فعلٍ طبيعي للحاجه ، هل يلام من يستعمل الخداع الغرائزي ليلبي احتياجاته واحتياجات من هم مسؤوليته أخلاقيا؟!!

ولد وجيه في ظروف أجبرته على تقوية وسيلة الخداع الموجودة بكل من يولد لكي يعيش،ويعيل عائلته .

وجيه الذي ولد بغير ما أحب ، وكبر ببيئة وظروف وقيود لم تكن باختياره.

وحمل هم لم يتمناه يوما، ورزخ تحت ضغوط الحياة ،على نقيض ما أحب وتمنى .

لقد قرر أن يغير وجه حياته ....

قرر أن يبحث عن السعادة من وجهة نظره ،

وما هي السعادة ؟! ،

إنها كل ما يصل إليه ولم يصله غيره من الكادحين أمثاله، الذين ولدوا بلا سند يحميه أو مال يغنيه أو عشيرة تكفيه .

وجيه عمله الخداع ،وزبائنه ورأس ماله أبناء جنسه.

موقع عملـه مكاتـب الشـركة الـتي تحمـل اسم طويـل ووصـف كـبير لنشاطاتها الوهمية .

وبعض محلات تجاريه ،من يراها يقتنع بما أراد وجيه لزبائنه أن يوقنوه ويسلموا به .

وهو النجاح ،حتى المقربين والأقارب والزوجة والأبناء ،لم يكونوا ليروا غير ما يرى الآخرون .

لقد شق طريقه قبل عامين فقط ،بعدما استنفد كل الطرق التي يراها طبيعية في أن يصل بكده وعمله ،كما كان يرى ويسمع عن أقرانه وأبناء جيله .

عمل في عدة مجالات ابتداء من موظف مبيعات براتب زهيد ،كثف جهوده ليرتقي ،لكنه أدرك أن مستقبله لن يكون بأفضل حال من زملائه في العمل الذين انتصف العمر بهم وارتقوا ،ولم يصلوا بوجهة

نظره إلى عشر ما يتوق إليه،فتوقف وترك العمل ليتجه إلى عمله الخاص ،معتقداً بقدراته وواثقاً من نفسه بأنه سوف ينجح .

كان يبيع ويشتري بالقليل ولكنه أوهم من حوله بأنه كثير ،ولكي يقنع كان لا بد له من أن يلبس ثوبا ليس ثوبه وأن ينفق مال ليس ماله.

اقتنع بعض ممن هم حوله فشاركوه ولكنه سرعان ما انكشف أمره عند أول هزه .

نزل إلى تحت الصفر ،وأصبح همه سداد دينه .

سافر وجيه إلى أمريكا ليبدأ من جديد وكان في السابعة والعشرين من العمر.

بعد أن حاول جاهدا لمدة زادت عن التسعة أعوام لينال تأشيرة دخول لأمريكا ،تخللها الكثير من الفشل وخيبات الأمل من أن ينالها ، وعندما حصل على التأشيره، اعتقد أن الحياة ابتسمت أخيرا وان القدر فاتحا ذراعيه له !!

وصل إلى أمريكا ، وتحديدا مدينة (نيويورك) ،وكله سعادة وتفاؤل بالغد القريب .

قرر أن يبدأ من بداية السلم وأن يتناسى ما وصل إليه قبل ذلك ،فبدأ في عمل موظف مبيعات،بعد أن كان قد عمل حمالاً في شركه .

كان دخله مثل غيره من أقرانه بل إنه قد تفوق عليهم ولكن مسؤولياته كانت أكبر من أن يرضى بمقدراته ،فقد ترك خلفه عائلتا مكونة من زوجة وثلاثة أطفال في بيت يفتقر إلى أقل أسباب الراحة والتمدن .

برغم تفوقه بالدخل والمسمى الوظيفي إلا أنه لم يكن في مأمن مادي فكل ما يجني لا يكفي تسديد مستلزماته واحتياجات عائلته وما ترك خلفه من ديون أثقلت كاهله.

لم يكن في عمله إي غطاء آمن ،إذا مرض يوما ولم يعمل فإنه ميزانيته سيصيبها العجز .

كان يخاف من أن يمرض أو يتعرض لحادث .

وهذا ما حصل فعلا ،لقد أصابه البرد لبضعة أيام اضطر خلالها أن يلازم الفراش واستدان لكي يسد عجزه المادي.

لم يكن يقوى على الذهاب إلى الشاطئ الذي طالما حلم بالتنزه به مع أنه لا يبعد عن القبو الذي يقطن أكثر من عشر دقائق مشيا على الأقدام خوفا من أن ينفق ما لا يملك أو ما ليس من حقه أن ينفق.

لطالما سمع عن السنترال بارك وشاهده في الأفلام والمسلسلات ،التي تدور أحداثها في مدينة نيويورك ،لكنه لم يجرؤ يوما على المشي مدة لا تزيد عن خمس دقائق من مكان عمله إليه .

لشعوره بالمسؤولية تجاه عائلته التي تركهم خلفه في مهب الريح أو لعدم وفرت الوقت .

أوقات العمل تبدأ من التاسعة صباحا إلى الثامنة مساء ، مكان عمله في (مانهاتن) وكان يبعد عن سكناه في (بروكلين) ساعة ونصف، يقضيها بالقطار وغالبا ما كان يقضيها واقفا لشدة الازدحام بالإضافة للمسافة التي يمشيها على قدميه من محطة القطار إلى قبوه .

لم يكن يملك الوقت الكافي ولا الجهد الكافي للتنزه والترفيه عن نفسه .

. .

يوم إجازته كان يستغله بتنظيف القبو وغسل الملابس وكيها ،لقد كان يوم إجازته لا يقل إرهاق عن أي يوم عمل مضن !!

. .

كان على وشك الرضى عن نمط حياته واقترب من القناعة أو إقناع الذات .

إلى أن تعرض لأذى نفسي وحرب من زملائه بالعمل لأن تفوقه عليهم أصبح واضحا حتى وصل اسمه وأرقام مبيعاته إلى رؤسائه ،فكان لا بد لزملائه أن يدافعوا عن أنفسهم بإقصائه .

تم لهم ما أرادوا،مارسوا حقهم للبقاء فخاضوا صراعه.

وأصبح وجيه مرة أخرى في مهب الريح بلا غطاء.....

ثم قرر أن يخوض الصراع،،،صراع البقاء ...

وجيه الإنسان.. خلق ليبقى حتى يحين أجله ....

لكن للبقاء ثمن .

ثمن البقاء

ثمن البقاء

يصل بأغلب الأحيان إلى ستمائة ألف ساعة أي حدود خمسة وعشرين ألف يوم ، وتعادله سبعون عام ...!!

أعمارنا أرقام ،لها بداية ولها نهاية ،لكن أطماعنا تفوق ما سلف من الأرقام ،فلقد تعلمنا أن نعد حتى نصل إلى مئات الملايين وأكثر.

لقد انتهى قارون مع كل ما قد جمع من مال وذهب. ومات سليمان عليه السلام مع كل من حكم من إنس وطير وجان .ضاع الإسكندر المقدوني وضاع ما بسط سيطرته عليه من أرض وبحر برغم أنه حكم ثلاث قارات،ومات في الثالثة والثلاثين من العمر،بعد أن حارب ابن جنسه لأكثر من نصف سنين حياته.

كلهم إنسان، ولم يصل أحدهم من العمر خمسة وعشرين ألف يوم من الحياة .

ما بال الانسان لا يزال يجمع ويطرح ويضرب ويقسم ويفنى كما فني السلف وسيفنى الخلف .

ما بال الإنسان لا يقنع ولا يقتنع ،هل السبب هو الطمع ام متطلبات الحياة التي اصبحت قيده.

جاء الإنسان حراً بلا قيود ،ليجد ألف قيد في انتظاره ،هل المهمة الحقيقية للوجود ،فك القيود!

أم صنعها ! وتوريثها .

هل سبب الوجود غير ذلك ! هل ولدنا لكي نموت ونحيا بين المعادلتين الوجود والغياب.

وما هو الثمن لبقائنا أو زوالنا.

لا بد من ثمن لذلك ..!!

نحن في عالم لكل شيء فيه ثمن ،حتى أقدس معادلات الإنسان وهي الحب ،إذا ما بحثنا خلفها لا بد أن نجد ثمن للحب ، التضحية ،

الغرائز الحيوانية كما يحلو للبعض أن يسموها ،المسؤولية ،الألم ، الوقت .

حتى أننا نثمن الحب بالأعداد فيقال أحبك بعدد حبات المطر أو مثلا بحجم البحر .

وتطور ثمن الحب في زمننا إلى أن أصبح يقاس بالمادة وما يلزم من حسن المظهر ونوع العطر ، حتى الحب أصبح لا يأتي من لا شيء فيجب أن يتوفر ما يجلب الحب .

لقد تعاقبت أزمنة على الجنس البشري واندثرت . كان الحب أعمى فوجد أحدب نوتردام .

وكان الحب عطاء فلاقى روميو وجولييت حتفهم بعطائهم.

وكان الحب رجولة فأبكى عنتر ابن شداد على أطلال خيمتها.

وكان الحب غيره فقتل عطيل لأجلها من أحب .

وكان الحب كيمياء تجذب المحبين لبعضهم ،حتى تطور العلم فأمست الكيمياء يصنعها الإنسان .

ومع تطور علم الاجتماع أصبح بمقدور الإنسان أن يتلون بغير لونه ويخفي طبائعه ويظهر طبائع من استحسن ممن شائت الظروف أن يلتقيهم .

هل نتهم التطور بسلبياتنا ، أم نعود إلى الوراء لأصولنا وموروثاتنا من غرائز خلقت منذ خلقنا.

منذ أول اختلاط بين حيوان منوي وبويضة أنثى،أصبح جنين ثم إنسان، أبانا (قابيل) .

قتل (قابيل) أخاه (هابيل) لأجل الحب أو غرائز الحب المبنية على المتعة ،والغيرة ، والكيمياء وكل ما أسلف من الغرائز خلقت مع الإنسان لحظة ولادته أو ربما تخلقت في أحشاء أمه مخطلطاً بأبيه،فأنجبته.

في القديم قالوا إن الحب خطيئة ، وفي الحاضر قالوا إن الحب أهم عنصر في حياتنا.

مات عمنا هابيل واندثر وبقي أبانا قابيل فنال ما يشاء وخلف ورائه أمم، هم أجدادنا ،أصولنا .

إنسان قتل ليعيش ،والقتل لا يمارسه إلا الأشرار، في نظر المشرع. قتل ليشبع غرائزه التي خلقت في أحشاء حواء ومن صلب أدم ، أنه أول إنسان ولد على هذه الأرض ،لكن الخالق لم يحاسبه ويقاضيه بقطع رأسه مثلاً .

أما الغريزة التي جعلته قاتلا ، هي أسمى الغرائز لدى الإنسان (الحب) فما بال الغرائز الأخرى غير السامية بنظر المشرع، ما جعلتنا نفعل نحن معشر الإنسان .

ماذا عن الطمع ؟،الخداع؟ ،حب الذات؟ ،القيادة؟ ،المتعة؟، الدكتاتورية؟ ،الظلم؟ ، حب العظمة؟ ،الأنانية؟ النقص؟،العدائية؟ وأهمها البقاء وصراع البقاء...!!

كلها وصف لجزء من غرائز الإنسان ،موجـودة فيـه لحظـة ولادتـه أو لحظة تشكله كجنين في رحـم أمـه. تشكلت لتصـبح هرمونـات ربمـا، تفرزها الغدد .

هل من إنسان قادر على أن يستأصل غدة ما ،ليقتل غريزة ما ؟!

إذا لماذا يعاقب الإنسان على ما ليس له حيلة به ،ليس لـه يـد بصـنعه أو بوجوده .

إن القوانين التي وضعت لتكبل الإنسـان ،إنمـا صـنعت لتكبـل غرائـزه ووجوده .

إن ما يجرم الإنسان على أفعاله ،كمن يجرم الخالق على خلقه .

أنه اعتراض واضح وصريح مـن المشـرعين الـتي قـادتهم غريـزة البقـاء والقيادة على الخالق أو على أساس الخلق .

إن المشرعين هم أول من استعمل غريزته ليقود ويُتبع،ويفصل الغرائز الأخرى على أنها جرائم ووضع العقاب وسن القوانين ،ضاربا بعرض الحائط أساس الخلق وعبرته،الحرية.

الخطأ والندم،الصواب والرضى.

لماذا لم يترك الإنسان مثل باقي المخلوقات ،حرا طليقا ،لماذا نعترض دائما على شريعة الغاب ..!!

نحن من أسماها كذلك (شريعة) ، فلم نر أسد يخطب ويسن الشرائع ، ولا حوت يجمع الأسماك حوله ويطلب تأييدهم ليبايعوه. !!

الإنسان من صنعها، وأوجدها أصلا .

إن كل مخلوق على كوكبنا يحمل في طيات نفسه من غرائز أقل مما نحمل نحن بنو الإنسان،بني (قابيل) إذا جاز التعبير والوصف والتسمية .

ربما إن من وضع التشريعات الوضعيه والقوانين والعقاب ،هو ذاته من حث على مخالفتها .

إن التشريعات كبلت الإنسان وأفقدته حريته .

سلبت منه الندم والرضى.

إن وجود الإنسان مكبل بغطاء غيمة القانون والتشريع الوضعي ، جعله تابعا لساسته فأفقده حريته الروحية والفكرية والجسدية .

إن كل من انقاد خلف أطماع قادته الغرائزية ،وصل إلى نهايته مقتولا أو مصلوبا أو مسروقا أو مغتصب أو محتل ، إما ظالماً أو مظلوما .

هل يصل الإنسان إلى غايته بالحرية ليضاهي حرية سمكة في بحر أو حمار وحشي في غابة ،أو حرية نسر في سماء!

قال المشرعون إنه لولا القانون والشرائع لفتك الإنسان بابن جنسه ، وانتهى الجنس البشري وانقرض.

لولا القوانين لانحدر الإنسان أسفل الهرم ليصبح كما الحيوانات .

يمكن ذلك،لكن هل نسأل؟

لكن لماذا لم تصبح السماء خالية من سكانها .

لماذا لم يصبح البحر خاليا من سكانه بل على العكس تكاثر برغم نهم الإنسان وحربه ضد كل ما يتحرك ، لماذا لم تفرغ الغاب ،إلا عندما وصلت يد الإنسان له فخربته وقطعت أشجاره وقتلت سكانه ..؟؟!!

لو أن الإنسان تمتع بحرية الحيوان ،لما رأينا حروب ومجازر ومحارق وسجون وتنكيل.

ربما لو ترك الإنسان كأي كائن حي على هذا الكوكب ، لتميز عن غيره من المخلوقات في غريزة لم تتوفر في الحيوان وهي الرحمة والرأفة .

لكن المشرعون وشعوا القوانين لينزعوها من قلوبنا فأصبحنا نتمنى أن نكون حيوانات .

من منا لم يتمنى يوما بأن يكون طائر في السماء ،أو أسد في غابة أو سمكة في بحر أمنيتا بالحرية والسلام وزوال الهموم ،المادية ، أو الإجتماعية ، أو النفسية.

هربا من المسؤوليات التي تثقل كاهله منذ الأزل والتي قيدته القوانين بها .

لو أن الحيوانات فقهوا نظرية التطور الخلقي (داروين) بان الإنسان أصله حيوان ،لرفضت الحيوانات واجتمعت على رأي واحد.

لا يمكن لا يشرفنا انتماء الإنسان لنا ،نحن أحرار ،والإنسان عبد مقيد بشرائعه الوضعيه الزائفة مقيت متوحش وموحش يفتك بأي مخلوق من غير سبب أو حاجة.

بعد أن خُلق الإنسان ليسموا ويتميز بفكره وعقله وعاطفته . سلبه المشرعون حريته وخطوا له طريقه ومساره ومراده ،فأصبح عبد نفسه، عبد غرائزه السيئ منها.

يقول لسان حال الإنسان أنا أفكر إذا أنا موجود ويقول الحيوان أنا حر إذا أنا موجود .

(سلام)

بقاؤنا ثمن، بقاء بلا ثمن ،سلام وحرية بلا قيد ولا شرط لخمسة وعشرين ألف يوم تزيد أو تنقص .

هل يستطيع الإنسان أن يتسامى على شروره الغرائزية.

أن يتعايش بسلام مع نفسه ومع الآخرين الذين وضعهم القدر في طريق مسيرة حياته،..هل الإنسان قادر على الرحمة ؟!!

الرحمة هي ذاتها الغريزة التي انتزعت من الإنسان،والتي انتزعها المشرع والقانون ،قانون البقاء ، شريعة الغاب.

هل هو قادر على بضعة آلاف يوم ،إذا ما قدر لنا أن نعيشها ،ربما لم يتبق منها الكثير .

هل الإنسان قادر على هذا الرقم البخس من الرحمة والتسامح ،التي أرادها الخالق للإنسان ،وميزه بها عن باقي مخلوقاته....

ربما غابت الرحمة عن قلوبنا فقست،واقترفت أيدينا من الجرائم، لكن الجريمة والرذيلة والقسوة والمادة لم تسموا بنا ،بل سحبتنا إلى العتمة وفقدان الذات . لكن الرحمة لا تموت لأنها روح بلا جسد.

والضمير لا يعذب ويؤنب إلا صاحبه .

لماذا إذن لا نسموا بما قدر لنا أن نعيش أيام تبقت لنا مـن أعمارنـا ،لا تساوي شيء من حساباتنا الدفترية الفانية، لماذا تغلفنا العتمة ؟!!

إذا نسمو إلى الضياء ،بالرحمة واللُحمة والتسامح والتصالح مع الذات أولاً، ومع شركائنا من أبناء جنسنا دائما.

(قابيل) قتله الندم.

ربما يكون الندم لو كان الانسان حرا ،هـو سـجنه ومقصـلته ومشـنقته وعقابه.

لكن المشرع الغى الندم واستبدله بالحديد والنار.

أو ربما كان الندم هو عقاب الخالق للخلق ، في حياتهم ...

أيقن وجيه أن طريق القناعة لن تجدي نفعا ،لقد كان يتميز عـن غـيره بأنه قادر على جذب الأعداء إلى ساحته عن غير قصد ،بسبب قدراته. قدراته التي تفوق قدرة الآخرين ،ولم يكـن يملـك أن يخفـي تميـزه في العمل أو أن يعطي بنصـف مـا يستطيع ،لان طبيعتـه وتكوينـه كانتـا مبنيتان على التحدي .

لم يجد أمامه خيار أمام العجز المادي وأمام مسؤولياته ،وأمام ذاته وهي الأهم.

لن يرضى بأن يفشل مرة أخرى فقد مل الفشل ..!!

العجز المادي فشل،بنظره ونظر مجتمعه ،وهو كذلك فعلا ،فلولا المادة لما اغترب وجيه تاركا خلفه أبنائه وعائلته بلا سند أو مستقبل يضمن لهم، حتى قليل ما توفر له.

عندما قرر وجيه أن ينجح ،وضع الخطط وتدرب على أساليب حوار جديده مع من يعرفونه،أو من لا يعرفونه من السابق .

أسلوب يجعلهم يقتنعون بتميزه عنهم .

حتى المواقف والأشخاص الذين يمكن أن يلتقيهم بالصدفة ،وضع الخطط لتعامله معهم وطريقة مصافحته لهم .

والمواضيع التي سوف يخوض بها وغالبا هي مواضيع وخطط تجاريه قائمة على المشاركة. مستخدما العاطفة ،عاطفته الجياشة التي تكاد ترى بالعين المجردة .

يجب أن تكون الصداقة أو الأخوة أو المصير هو ما يربط وجيه بضحاياه في البدايه.

بدأ الخداع ببطاقات الائتمان فكان يحتال بها مشتركا ومستعينا بمن سبقوه إليها ،وتطور إلى تزوير الشيكات وصرفها .

تاجر بالبضائع المسروقة أو البضائع التي يتم شراؤها عن طريق بطاقات الائتمان أو الشيكات المزورة .

كانت مهنته الجديدة فيها الكثير من المجازفة وكان فيها الكثير من المتعة واللهو وأصبح وقته بيده ،مما خلق فراغ حاول ملأه بشتى أنواع المتعة .

إلا أن وصل إلى حد لا يكفيه دخله الجديد الضخم لملئ فراغه لأنه أدمن المتعه .

شعر وجيه أنه بدأ يتورط وخاصة بعد أن وقعت رؤوس كبيرة في أيدي النظام وكانوا أكثر حيطة وحذر منه ،هنا أيقن وجيه أن هذه الحرب ليست حربه فقرر أن ينسحب منتصرا وعاد إلى بيته وعائلته بقليل من

المال والكثير من الخبرة والدهاء ومعرفة تامة بالتكنولوجيا الحديثه وعلم الاتصالات والمراسلات وكيفية خلق بيئة للتواصل مع الأخر.

وخبرته الواسعه لما يحتاج من أسلحة وعتاد لغزو جيوب الناس وحساباتهم البنكية .

لم يعد يخشى ضيق الحال ،فمعرفته وخبرته في مجاله ،أي الخداع والاحتيال كانت تعطيه ثقة بالنفس لدرجة أنه إذا أراد في يومٍ مبلغ معين فسوف يحصل عليه .

لقد عاد إلى بلده وعائلته بشكل جديد ومنطق جديد وأسلوب فريد ، يميزه عن أبناء جيله ممن تركهم .

عاد إلى مجتمعه القديم من أقارب وأصدقاء ومعارف،كان قد تركهم معدما وضعيفا .

جائوا إليه متسائلين فضوليين خجلين يسألون عما أنجز ،وهل سبقهم، هل تفوق عليهم!

(علي) : شاب يكبر وجيه بخمس سنوات ويعمل نجارا،أما علاقته بوجيه فكانت من خلال الحي الذي ترعرع كلاهما به.

وبعد ذلك جمعهم النسب من جهة زوجاتهما .

كانت روح التحدي فيما بينهم غير ظاهره لكن كلاهما فهمها وخاض حربها السلمية .

لم يكن (علي) متعلم أو مثقف وكذلك وجيه غير متعلم لكنه يتمتع بثقافة كبيره .

(علي) كان مستقر ماديا فهو يملك شقته وسيارته ومنجزته التي تدر عليه ما يفيض عن حاجته مما جعله يتبجح ويتعالى على الآخرين نوعا ما وخاصة وجيه،لأن علاقة النسب التي ربطتهما كانت في نفس المرحلة،مما ميز (علي) عن وجيه أنه يملك سيارة كان والده قد اشتراها له ، هذه النقطة أشعلت شرارة التحدي الخفي عند وجيه.

(عادل) : ابن أخت وجيه الأكبر سنا ،كان بنفس العمر ،وجمعهم نفس الحي الذي ترعرعوا به ،كان وجيه في طفولته قائده وكان هو من

يُفتِّح عيونه على الدنيا الصغيرة من حولهم، ولكن (عادل) كان له ما لم يكن لوجيه ،كان له أب ناجح.

يأخذ بيده ويحميه ويدله برفق على الصواب ويبعده برفق عن الخطأ من وجهة نظر الأب ،وكان يعمل نجارا أيضا .

أصبح (عادل) نجارا مثل أبيه، لم يواجه في حياته أي تحد مادي أو اجتماعي لأنه كان ظل أبوه ،وَظَلَّ كذلك .

كان وجيه يحسده في طفولتهم ،ويتمنى لو كان مثله ،لو ينعم مثله بأب يؤمن له المستقبل ويشتري له سيارة ويزوجه ويرعاه ، تمنى لو أنه بمقدوره ألا يحمل هم غده مثل (عادل)،لكن لا أحد يصنع القدر.

كبر (عادل) في ظل أبيه فأتقن التقشف والادخار واتسم بالطمع والبخل.

*(مروان) : جمعهم النسب ،كان زوج أخت وجيه الوسطى (هاديه) إنسان فاضل ، بكل ما تحمله الكلمة من معاني إنسانية رفيعة المستوى.

(مروان) الأوسط بين إخوانه .

رجل جميل النفس ،طاهر المعاني ،قدوة خفيه لكل من أراد أن يكون إنسان ،محب ومحبوب ،محل ثقة لكل من هم حوله ،وكان يثق بمن حوله أيضا لصدقه وصفاء سريرته،كان يعمل محاسب مؤتمن على الكثير وهو خير من يستأمن ،كان الاعتدال مشيته وممشاه،الاعتدال بكل شيء، إلا محبة الناس له فلم تكن معتدلة.

بل كانت محبة الناس له كبيرة وكثيره .

أبنائه أمثولة للأدب والاجتهاد،وبيته معتدل تشم رائحة الطمأنينة والسلام وأنت تجلس به .

(مروان) ،ادخر شيء من المال تحسبا للمستقبل. ليس خوفا فأمثاله لا يخاف المستقبل بل يتحسب . أراد أن يزيد مدخراته ليس طمعا بل طموحاً لأبنائه ولأنه كان يأتمن كما يؤتمن ،يُصَدِق كما يَصُدق .

ولما رأى ما رأى من وجيه بعد عودته ،كان أول من استثمر معه مدخراته .

مساعدة لوجيه لشق طريق نجاحه من جهة،وطموحا بمستقبل أفضل لأبنائه من جهة أخرى .

لا تهمه أو تغريه المظاهر،إنسان طاهر.

(أمير) : كان أول الأصدقاء وأخرهم ،جمعه النسب أيضا مع وجيه.

شخص بسيط من عائلة بسيطه لكن متعلمة، كان رياضي متفوق وأكاديمي مميز.

خرج من مجتمعه البسيط من إحدى القرى باحثا عن مكان له في مجتمع كان يراه أفضل وأقرب إلى التحضر.

متزوج ،لا يملك من متاع الدنيا غير شهادته ودراسته التي لا يصلها إلا من جد وكد واجتهد. برغم النقلة إلا أنه لا زال بسيطاً في كل شيء،لغته ولهجته الشعبية التي تدل من لا يعرفه عن مجتمعه الحقيقي،كأن لسان حاله يقول يعجبني أصلي ويعجبكم موقعي وعلمي وثقافتي.

طموحاته وأحلامه بسيطه لكنها معقولة ،لم يحاول يوما أن يغير مجتمعه كان راضيا به .

كان صديق لوجيه لان لا مصلحة لكليهما ببعض.

ويجمعهما الاختلاف وألتناقض.

اغترب كما فعل وجيه وبنفس الفترة الزمنية تقريبا لم يجني الكثير من اغترابه ولم يكن راضيا عما أنجز ،كان خائفا من المستقبل .

في نظره أن السعادة المفرطة لها ثمن لا يملكه ولا يطمح له ،كان الرضا بما تيسر، سعادة ،أما لسان حاله يقول أنا على هامش السعادة وهذا يكفيني.

(خليفة): جمعه ووجيه النسب أيضا،مثله مثل (علي) شاب يلبس ثوبا غير ثوبه الرث ،يتكلم بلسان غير لسانه ،فكان كما الموج في بركة صغيرة ، كان ينطق بما لا يفهم،نقص حاد في ذاته يكاد يقول ها أنا ذا .

لم يطمح بأكثر من أن يكون عاديا جدا .

وسيم نوعا ما ولكن زوجته القبح بعينه ،ومع ذلك يطربها بحلو اللسان ويتغزل بجمالها وكأن به يقنع ذاته وعينه بغير ما يرى ، لأن هذا ما تيسر له أن يتزوج لضيق اليد،أما الحب فلم يكن من متطلباته .

كان يراه الآخرون من خلال هندامه الأنيق والتي كانت إحدى متطلبات وظيفته ،فهو بائع ألبسه وأهم مواصفات البائع : المظهر،حلاوة اللسان، النظافة الشخصية، لمعان العينين الكاذب .

بنظر وجيه لم يكن خليفة صديق أو أقل من ذلك لكنه كان جليس يكمل أركان الجلسة، طمع بلا طموح ،كأس بلا ماء.

لكن وجيه كان يأمل أن يوصله بأرباب عمله المليئين ماليا واجتماعياً ،وربما فِكْرِيٌّ.

لكن خليفة كان يوصد الباب أمام مبتغى وجيه ،ربما خوفا منه على مركزه من أن يسلب.

أو خوفا من أن ينكشف أمر عمله المتواضع أمام من يجالس ويسامر ويصادق،وكأن مركزه كان خفي على أحد، فقد عرف الجميع مركزه لكنهم لم يحرجوه يوما لكي لا يجرحوه.

جميعهم عرف وجيه عن قرب قبل الاغتراب والبعد ،والآن جاءوا أملين يدفعهم الفضول أن يتعرفوا بشخص آخر ،غير الذي عرفوه في الماضي.

فأعطاهم وجيه ما أرادوا.

كان يجالسهم فيبهرهم بشخصيته الجديدة الواثقة. يحدثهم عن تجاربه ويبالغ في الأحداث لكنهم كانوا يصدقونه ،ويعود الفضل إلى تعلمه الثقة بنفسه والتحكم بتعابير وجهه وتوجيهها إلى كل شخص حسب قدرته على الاستيعاب .

كان يقنعهم بأدب وقوة ،بتفاهة إنجازاتهم إذا ما قورنت بإنجازاته،مع أنهم كانوا يبالغون في وصف إنجازاتهم أيضا.

في الحقيقة لم يحتاج إلى جهد كبير ليؤثر عقولهم ويحرك غرائزهم وخاصة الطمع.

وجيه: ينتقل نقلات نوعية في زمن قياسي ،بنظر الآخرين كانت نقلات عظيمه لا يمكنهم أن يصلوا إليها حتى لو ضاعفوا جهودهم عشرات الأضعاف.

انتقل من منزله المتواضع في منطقة شعبية والذي لا يتناسب مع وضعه بنظر الآخرين ،إلى منزل في منطقة راقية يتجاوز ثمنه ما جمعه أي منهم طيلة سنوات عمله وأوهم الجميع بأنه اشتراه من فائض جيبه.

لكن الحقيقة أنه كان قد استأجره لمدة عام ،معتمدا على قصر نظرهم وقلة حيلتهم ،وأنه ليس هناك من يكذبه ويكشف أوراقه .

أرادوا أن يصدقوه ،ولو كذبوا على أنفسهم.

شرح لهم نظرياته الاقتصادية، بان النقود تأتي بالنقود الكثير منها،لكن المنازل والقصور هي مقبرة النقود والطموح ،ولولا قناعاته، لاشترى قصر .

كان قادرا أن يرسم لهم أحلامهم وأمنياتهم ولكـن يجـب أن تكـون مـن خلاله.

لأنه لا أحد يتمتع بقدرة تحقيق الأحلام مثله ، كان يـوحي إلـيهم ولا يطلب ......

يرمي الطعـم لهـم ويشيح بوجهـه عـنهم ،حتـى أصـبحوا يلاحقونـه ويعرضوا عليه باستحياء .

أموالهم ومدخراتهم القليلة بنظرهم إذا ما قارنوها بثرواته ونجاحاتـه التي تخيلوها ولم يسمعوه يذكر مقدارها .

الحقيقة غير ذلـك ،لقـد كـان معـدما ولكـن مـدخراتهم أو جـزء منهـا أصبحت في جيبه.

أوهمهم بان مشاركاتهم لا تزيد عن عشر قيمة الصفقات التي هو مقـدم عليها .

أصبح بنظرهم الناجح الذي أحسن عليهم لأنه إنسان غير أناني ،يريد الخير لهم لأنه يحبهم ويريد لهم أن ينعموا بما ينعم ،من رخاء وتطوُر.

جاملهم في مناسباتهم فكانت هداياه تنم عن ذوق رفيع ودخل كبير .

كان ينفق أكثر من نصف ما يملك بجيبه عليها .

حتى وصل إلى مبتغاه مما يخفون في جيوبهم وحساباتهم البنكية ،كان يعدهم بان يصبحون مثله يجنون نسبة عالية من الأرباح تفوق أحلامهم.

لقد استطاع أن يحفز غريزة الطمع لديهم والتي هي موجودة أصلا ، وبعضهم كانت صفة الطمع ظاهرة به وترى بالعين المجردة مثل (عادل).

*** *** ***


الطمع

الطمع

لكل مخلوق أطماعه وطموحاته ،منذ الأزل.

الطمع الذي أنزل حواء وآدم من مكان أعلى لمكان أدنى ،الطمع هو عكس القناعة .

لو أن حواء ارتضت ما قدر لها من الثروات والغذاء أو اكتفت بما يملأ معدتها لما حصل ما حصل.

يقولون إن الفقر والحرمان يولد الطمع ،وهذا غير صحيح. لم يكن أدم أو حواء فقراء بل على العكس لقد كانت لهم ثروات لا ينازعهم أحد عليها ومع ذلك كان الطمع الغرائزي.

قد استغفرا ربهما فغفر لهم ،إلا أن الطمع وُرِثَ لأبنائهم وأحفادهم . ورث قابيل الطمع كغريزة في جيناته الوراثية ،فطمع بما ليس مقدراً له وكانت الجريمة ،وتورثها الإنسان .

لا أريد أن أظلم قابيل ،ربما لو لم تحفزه غرائزه قبل أخيه ،لكان هو الضحية وتغير مسار البشرية.

يمكن أن يكون هابيل أقل غرائز من قابيل ،ربما لم تتوفر له العاطفة التي تهيج غرائز الإنسان ،أم أنها موجودة لكن بنسبة أقل .

ربما أن أدم وحواء لما تجامعوا في يوم حملها ،كانت عيون حواء خاشعة في الثمرة المحرمة .

وربما وربما وألف ربما ،لم تكن لتمنع قدر الجنس البشري أن يكون جشعاً وطماعا بالفطرة .

إذا لماذا وصم الطمع بوصمة عار وجريمة،وحاسبه المشرعون وحاربوا الطمع بأشكاله المتعددة!

لماذا لم يتركوه وشأنه ،لوُجِد الإنسان الطماع وأخر، أكثر طمع منه، ودائما ما ينتصر أحدهم فتكون حياة الإنسان متوازنة بدون شرائع ومشرعين .

ربما فرقهم الطمع فجمعتهم العاطفة أو الشهوة فحصل التوازن ،بلا شرائع ومشرعين .

ربما قدر للإنسان أن يكون حرا من الشرائع والقيود والقوانين التي أفرزها تعاقب ومرور الزمن .

لو ترك الإنسان بحاله، لعرف أن الماء نظافة فتنظف وعرف أن المعدة محجمة فخف نهمه .

وعرف أن القتل خطيئة توَلِد الندم فلا يقتل .

وعرف أن العمر قصير فاستمتع به،واستمتع باكتشافاته ودراساته واختراعاته ووصل إلى ما هو أبعد من القمر وحتى المجرة هي أيام معدودات لا تتعدى الآلاف ،لماذا لا يستقبل الإنسان الموت مبتسما !!!

لأن النظام والشرائع الخاصه به منعته وقيدته ،نزعته غرائزه ومقدراته التي خلق بها ،لهذا نرى الإنسان حزين على الموت ،لأنه يطمع بالمزيد .

كان وجيه يعلم بوجود هذه الغريزة بكل من هم حوله ،فاستغلها وأحسن استغلالها.

بدأت الأرباح تنهال عليهم ،وجاءوا بغيرهم من أشخاص لم يكن لوجيه أن يعرفهم.

إنه يعرف كيف يدير أموالهم بما يحبون أن يعتقدوا . المهم بالنسبة لهم أن أموالهم تدر عليهم أرباح كثيره وأنها في أيدي أمينه ، ولإقناعهم أنها في أيدي أمينه ،تحتم على وجيه أن يظهر بمظهر الثري .

الثراء حتى بالمظاهر لا بد له من مال .

استعمل وجيه جزء من أموالهم ليرضي شعورهم بالأمان . بدأ بالمكتب فاستأجر مكتب في أرقى مناطق عمان الغربية وأثثها بأفخر الأثاث والمعدات المكتبية .

وظف سكرتيره للمكتب ومديرة أعمال بمواصفات معينة عاليه.

تعجب من يزوره في مكتبه من زبائنه المستثمرين ويسيل لعابهم لرأيتها،مما يشعرهم بالاطمئنان، والإنبهار لبعضهم .

منهم من لم يصدف خلال حياته أنثى غير زوجته وأمه وأخواته، ليجد في مكتب وجيه أنثى جميلة وذكية ومتحررة ومعطرة بروائح لم تصل أنفه قبل ذلك.

كانوا مجموعة من الصناعيين البسطاء تفكيراً وبسطاء اجتماعيا ،أما وسيلتهم للتواصل والاختلاط فكانت تبادل الزيارات العائلية المقتصرة على أكل المكسرات وشرب المرطبات والمنبهات من شاي وقهوة ومن ثم تأتي الفاكهة خلال متابعة فلم ما ، لم يفهموه أو مشاهدة برنامج ترفيهي ما .

أما أحاديثهم ،كانت تقتصر على القيل والقال ،وعندما يختلي الرجال يتكلمون عن مغامراتهم التافهة مع النساء ،فمثلا يحكي (علي) لقد زارتني متسولة في منجرتي وغمزت لها بعيني فابتسمت،فيستغرب

الجميع ويمدحوه بأنه زير نساء ويصفه (خليفة) بأنه (أزعر) ويقهقهون وهكذا يتسامرون ويتواصلون .

وفي الجانب الآخر من المجلس تختلي النساء ببعضهم فيتحدثوا عن الطبخ والملابس ،،،

وأي محظوظة منهم من اشترى لها زوجها خاتم ذهبي أو حذاء أو سجاده ،فيمدحها ويحسدها الأخريات بأنها محظوظة بزوجها فيقهقهون ويضحكون ،وهكذا يتواصلون .

كان بعضهم يزوره في مكتبه فقط ليشاهدوا ماذا ترتدي الموظفة طامعا أن يكون رداؤها قصيرا ومكشوف ليرى ما تيسر من مفاتنها .

ولما كان وجيه يدعو أحدهم إلى سهرة ليناقشه بخطة عمل أو عرض لمشروع آخر ،كان يريه من النساء في أماكن السهر والسمر ما لم ير مثلهم إلا على التلفاز.

وجيه كـان مـن الزبـائن المحببين في تلـك الأمـاكن ،فكانـت الفتيـات الفاتنات تلتف حوله معانقين ومقبلين ،مـرحين ومـازحين،يتجـاذب معهم أطراف الحديث بلغة إنجليزيه أو اسـبانيه ،وضـيفه فـاغر الفـم مبحلق العينين ،يستذكر إذا كان قد سمع مثـل هـذه اللغـات ،هـذا إذا كان يملك صحن لاقط ليسترق النظر إلى فلم إباحي أو لقطـة يحفظهـا في مخيلته، بعد أن يكون إطمئن لنوم زوجته .

لقد كان يحسن التعامل مع غرائـزهم الدفينـة ،فأصـبح وجيـه مثـالهم الأعلى ،على جميـع الأصـعدة ،أشـعرهم بواسـعة حيلتـه ومـلأ جيبـه وسخائه وجرأته وعلاقاته القوية ورقيه فأصبحوا يشـعرون أنهـم أقـل منه قدرا ومقدره .

طالما أحب وجيه نظراتهم وأسئلتهم الـتي دائمـا مـا يجـد لكـل سـؤال جواب.

أحب أن يرى نفسه في عيونهم ومن وجهة نظرهم .

كره أن يرى نفسه بمرآته،فزعاً وخوفاً.

مرآة النفس

مرآة النفس

من يقول إن المرآة تـرى ، أو أنهـا انعكـاس لصـورة الإنسـان،حتـى أن بعض الناس تخاف من أن تواجهها ،وأن الإنسان إذا ما أمعـن التأمـل بالمرآة فإنه يصاب بالجنون والريبة.

في الحقيقة أن المرآة انعكاس للشـكل ولـيس للجـوهر ،للمظهـر فقـط ، وهو الذي يشكل عنصراً من عناصر تكوين الإنسان .

إن من يمعن النظر لهو في خطر ، خطـر قـابع في مكنوناتـه في غيابـات بئره في أعماق بحاره وأعالي جباله .

إن مرآة الإنسان هي ذلك الجزء الذي لم يتشوه بفعل الزمن والتجـارب ومعارك الحياة،يمكن أن نسـميه الضـمير أو العاطفـة المرتبطـة بالنـدم كرد فعل للضمير الموجود في دواخل الإنسان مهما كان شرسا أو نـهما.

ربما لا نجد الضمير بكل من نراهم أو نقابلهم في خضم الحياة ،ولكنـه موجود ولا نراه لأننا لسنا مرآة صادقة للآخرين .

أن الإنسان لا يرى من جانب شريكه الإنسان إلا ما يفهم أو يستوعب، لا نرى إلا ما يرضينا أو يسيئنا .

كل إنسان مرآة لذاته إن أراد، لكنه يتحتم عليه الغوص والبحث عن ذاته ،وهذا الفعل يتطلب جهد لم يعتد الإنسان عليه في حياته ،أنه جهد من نوع خاص يفوق الجهد الجسدي بحفر نفق أو هدم جبل ويفوق الجهد الفكري لاختراع قمر صناعي يرسله إلى الفضاء يمكنه أن يقرأ عنوان كتاب ملقى على الأرض في زاوية من كوكبنا .

لكن الإنسان القادر على هذا التحدي والجهد في النهاية ينتصر ولا يرى نصره غير نفسه وهذا يكفيه .

هل أنت قادر على مجابهة نفسك والاعتراف لها بشكلك الحقيقي! ألن تخجل من بعض زواياها ،وتشمئز نفسك لبعض أعمالها ، ألن تهرب من بعض أفكارها الشاذة ،ألن تندم لوئد فكرة راودتها ....إنها نفسك .

إن لم تنتصر عليها فعلي من ستنتصر ؟؟!! إن لم تعش بسلم معها فأي سلم ستعيشه مع الآخرين .

إن لم تكن صدوقا معها فأي صدق تقول وأي صدق من الآخرين تجد.

كيف يلوم الإنسان شريكه وابن جنسه الإنسان ،إن لم يستطع لوم نفسه.

إذا يكون الزيف والخداع والمكر والكره والجشع والخيانة صفاته وصفات غرائزه.

بحثُ الإنسانِ بأقصى جهد لمجابهة نفسه وملاقاتها وجه لوجه هو أقسى ما يجابه ،ولكنه لن يكون نادما ،ربما يحبها وربما يكرهها ولكنه على الأقل قد رأها وجابهها وارتضاها لتكوم ذاته.

وجيه يتمشى في وسط البلد،ويعبر ساحة المدرج الروماني متجها إلى الجامع الحسيني ،الذي تنتشر حوله محلات بيع الكتب ،حيث مكتبة الوراق.

التي اعتاد وجيه زيارتها لشراء كتاب ما أو رواية قبل اغترابه إلى أمريكا .

كان يشعر بنوع من الانتماء لذاك المكان وكان يشم رائحة الكتب التي طالما حركت في نفسه شعور جميل خفي .

كان أيضا يشعر أن رائحة أبيه وظله تراوحان ذاك المكان ،والسبب ان والده كان له بسطة لبيع الخردوات قبل ما يزيد عن خمسة وثلاثين عاما .

وكان يصلي في الجامع الكبير ، هذا ما أخبرته أمه القليل عن والده، فكان كلما مر من ذلك المكان الذي لم يتغير بالشكل.

بل إن نفس الطبيب الذي يعمل في العمارة التي على مدخلها موقع بسطة أبيه المرحوم ،لا يزال موجودا ويمارس عمله كطبيب عيون برغم أنه فقد نصف بصره بفعل الزمن والكبر .

أثناء مشيه متأمل وساهما وباحثا عن شيء ملموس يعرفه بابيه الذي لم يقابله طوال حياته ،وإذا بصوت يناديه عن يمينه ..وجيه..... وجيه .

تلفت حوله ليجد رجل قصير القامة مبتسما مقبلا عليه وفاتحا ذراعيه استعدادا للعناق .

تأمله وجيه في لحظات مستجمعا ذاكرته وباحثا فيها عن من يناديه باسمه.

عرفه على الفور ،أنه (هندي)، قابله وجيه بـنفس اللهفـة والحـرارة وسلم عليه .

كيـف حالـك يـا وجيـه ،حمـدا لله علـى سـلامتك ،متـى عـدت مـن أمريكا، متسائلا.

سلمت يا سيد(هندي) قالها وجيه مترددا ،خائفا من الإحـراج مـن أن يكون شخص آخر أو أن ذاكرتـه قد خانته بحفظ الأسماء.

لقد كان (هندي) جار وصديق (لعادل) وقد تعرف عليه لقضاء مصـلحة حكومية قبل ما يزيد عن عشر سنوات ،لكنه بقي عالقا في ذاكرتـه، أما (هندي) فقد كانت ذاكرتـه أساس عمله وصنعته.

هو ذلك الشخص الذي يحرص على لقاء أكبر عدد من الناس وبناء العلاقات معهم للاستفادة منهم لاحقا في اي مجال من مجالات الحياة. ومهما اختلفت اختصاصاتهم وأعمالهم فسوف يجد ما ينفعه من أي شخص.

كان يعرف التاجر الذي يمكنه من الربح والاستدانة، ويعرف الطبيب الذي يرفض أن يأخذ أتعابه لقاء خدماته له أو لأفراد عائلته.

يوهم الجميع بأهمية مركزه ومعارفه .

وكان يعرف الميكانيكي الذي يصلح سيارته بشيء رمزي أو مقابل خدمة من الطبيب مثلا ،وكان يعرف ضابط الشرطة ،والساعي في الوزارة، ويعرف..ويعرف،، ولا يخسر أحدا منهم ،ولما كان يقابلهم كان يحتضنهم بحرارة مع الابتسامة العريضة المرسومة دائما. نفس الابتسامة والأذرع المفتوحة التي التقى وجيه بها في وسط البلد عند الجامع الحسيني .

دار بينهما حوار لم يتعدى الدقائق .

دَوَنَ كل منهم رقم الآخر وافترقا كل في طريقه وجيه اشترى كتابه وأقفل راجعا لبيته ،و(هندي) أكمل طريقه ربما ملتقيا بخمسة أشخاص أو أكثر ممن عرفهم مثلما عرف وجيه.

عاد إلى بيته أيضا حاملا ربطة خبز وربما كيس من اللحم أو البصل .

علم وجيه أن له مصالح مشتركة مع (هندي) إذا عرف كيف يستغل علاقاته بمقابل.

والمقابل دائما كان مربط الفرس بالنسبة الى (هندي) ، ،إذا المصلحة واحده.

بعد عدة أيام قام وجيه بالاتصال مع(هندي) وطلب لقاؤه ،وكان اللقاء في منجرة (عادل) لأنها كانت الأقرب لبيت (هندي) .

دار بينهما حديث غرائزي ،ينطق به العقل فيترجمه اللسان.

وجيه : بعيد عن المجاملات يا سيد(هندي) ،أنا أملك ما لا تملك وأنت كذلك لك ما لا أملك ،فهل تضع يدك في يدي لنصل كلينا إلى مبتغانا من مال .

(هندي): طبعا فأنت أخ عزيز، ،

وجيه: يقطع عليه الحديث ،أخ (هندي) قلنا بدون مجاملات.

(هندي): علامات الاستغراب تعلو وجهه .

مستغربا صراحة وجيه المفرطة وحدة نقاشه.

أنا جاهز وفي خدمتك ،ماذا تريد ؟

وجيه : تقصد ماذا نريد كلانا ! ! !

مبتسما ابتسامة واثقة ،ما أريد كثير ولكن الآن أريد منك أن تتكتم على ما دار بيننا من حديث ،وبالذات (عادل) لأنه سوف يسألك بعد مغادرتي عن سبب لقائنا .

(هندي) هز رأسه بخبث مع ابتسامة عريضة وأجاب فهمت يا معلم وجيه بصوت مرتفع كأنه يريد لمن حوله ان يشعر بأهمية اللقاء.

لك ما تريد ولكن متى ستتصل بي.

وجيه :قريبا ..خلال أيام ربما.

جمعتهم الغرائز،الطمع والقدرة على الخداع.

وتم اللقاء وانتهى، وذهب كل في طريقه ،لكن (عادل) استوقف (هندي) متسائلا عن سبب اللقاء ! لكنه لم يعطه جواب يرضي فضوله، فامتعض!

نفذت مؤونة البيت وفرغت محفظة وجيه من العملات ،ولم يبقى شيء من مال .

في البيت وتحديدا غرفة النوم ،مكتب صغير عليه جهاز الكومبيوتر والطابعة.

وجيه يجلس خلف المكتب ويدخل البيانات ويطبع ،ثم يتناول الورقة يغمض عيناه ويوقع عليها بغير توقيعه

الورقة : شيك أمريكي مصدق واجب الدفع قام وجيه بصناعة بعض منهم بمبالغ صغيرة ومتفاوتة .

توجه إلى وسط البلد الجديد(طلعة الشابسوغ) الذي يكثر بها محلات بيع المجوهرات ،وبينهم محلات صرافة وتغير العملات .

نظر إلى نفسه في المرآة من خلال فترينة زجاجيه لأحد المحلات وتفقد هندامه ورتب شعره إلى الخلف فبدا متناسقا،مر بأصابعه تحت عينيه ليخفي معالم القلق ويمسح القليل من العرق.

توجه إلى أحد محلات الصرافة واثق الخطوة أنيق الطلة ملامحه لا توحي بغير المحبة والاحترام،،

صباح الخير مع ابتسامة متثاقلة تُشِعر الآخر بأهمية الشخص الذي يقابله .

صباح الخير سيدي ،تفضل .....كيف أخدمك ؟؟ سئله مالك المحل..

وجيه يمد يده في جيب القميص ويتناول ورقة شيك. ما عمولتكم على صرف الشيك؟ويمده إليه .

يتأمل صاحب المحل مترددا ويقول ٥٪ فقط سيدي، وجيه يرفع حاجبه مستغربا ويصمت برهة ،ثم يقول له اصرفه لي لو سمحت ويناول صاحب المحل جواز سفره بكل ثقة.

دليل على الصدق واحترام القوانين والأعراف التي تُحَتِم على الصراف التأكد من الهوية.

وما هي إلا دقائق معدودة حتى غادر وجيه وبين يديه رزمة ضئيلة من المال .

لكنها كانت كبيرة للوفاء باحتياجاته والعائلة والبيت ،من إيجار قد استحق عليه أيضا.

خرج من المحل ليقطع الشارع إلى الجهة المقابلة ويمشي في أزقة سوق الذهب متجها نحو الطريق المؤدي إلى اللا مكان،،، ومشى وسأل نفسه بصوت عالٍ لاحظته إحدى السيدات المارقات من نفس الطريق وتلفتت مبتسمتا، مستغربة !

سأل نفسه كانه يجزرها هل هذا أنا،، أم ما تحتاجه الأنا فيكِ!.

وصل بيته حاملا متحملا أكياس كل شيء ،دخل إلى البيت معتدل القامة على غير ما خرج ،مبتسما بوجه أولاده .

اليوم يا أولاد سوف نذهب للمدينة الترويحية ونتعشى خارج المنزل في مطعم تختارونه أنتم .

تلملم حوله أبنائه مقبلين ومهللين وفرحين.

منى مبتسمة،،، ابتسامات مصطنعه ،تسلم يداك يا حبيبي ،،، وبصوت منخفض لدرجة الهمس من أين لك المال !

هل نستطيع دفع الإيجار متسائلة ،،،،وجيه. بكل ثقة يمد يده في جيبه ويقول طبعا من طرف الجيب .

طلب منها تأجيل الأجوبة لوقت أخر وتوجه إلى الصالون وفتح النافذه، محاولا أن يستجمع ويختزل نسمة هواء كان يشعر بها بعد كل إنجاز،نسمة عليلة تفرحه ولو مؤقتا .

لكن وللمرة الأولى استجمعها ولم تكن منعشه بل كانت كئيبة محملتا بغبار ورائحة لم يعجبوه لكنه أخذ النفس ،شهيق وزفير حتى اعتاد صدره عليها في اليوم التالي اتصل وجيه بصديقه القديم الجديد(هندي)،، كيف حالك يا صاحبي.

وتم ترتيب لقاء.

تباحثا كيف يمكنهم صرف مبالغ أكبر وعدد أكبر من الشيكات .

لسد التزاماتهم والتفكير باحتياجاتهم الكثيرة لاحقاً .

لم يحتج (هندي) لوقت طويل من التفكير. والذاكرة،ليقترح فلان ، وفلان وصديقي (شاهر).

وجيه استوقفه الاسم والوصف ،صديقك ما لنا وصديقك!

أجابه (هندي) لا صديقك إلا جيبك معلم وجيه،ولنبدأ به.

توجها إلى منطقة الصويفية حيث موقع مكتب (شاهر)،بعد أن اتصل به (هندي) وأخبره بصديقه العائد من أمريكا ويبحث عن فرصة للاستثمار في بلده الأردن لأنه اكتفى من الاغتراب والبعد عن عائلته وقرر أن يعمل في الأردن.

فرشحتك له ،للاستشارة والمعونة وربما للمشاركة.

إذا أعجبكم الوضع والتقت وجهات نظركم .

ما كان من (شاهر) إلا أن يقول له تفضلوا الآن ،أهلا وسهلا أنا بانتظاركم .

في المكتب الجميل الأنيق من وجهة نظرهما ،جلسا بعد أن عانق (هندي) صديقه (شاهر) مقَبلاً وجنتيه وبعد أن سلم (شاهر) على وجيه ، مصافحتا تنم عن ثقة واعتداد بنفسه ، واحتراماً للسيد وجيه، الذي يقاربه عمرا وبه سمة النجاح والرقي .

تحادثوا باقتضاب ،وكان (هندي) له حصة الأسد بالكلام ،اتفقوا على تصريف الشيكات مقابل نسبة عالية ،وافق الجميع عليها بلا نقاش أو فصال.

بعد أن قال (هندي) لصديقه (شاهر) ،أنها شيكات صحيحه وأن السيد وجيه يريد أن يسحب أمواله من أمريكا .

هز (شاهر) رأسه ،مقتنعا ،أو موهما بالاقتناع.

وافق أن يصرفهم من الشركة التي يتعامل معها للتحويلات المالية على مسؤوليته الخاصة.

طلب منهم (شاهر) إمهاله بضع ساعات أو إلى اليوم التالي ،ليتسنى له صرفهم .

خرج الاثنان من المكتب بعد أن عانق (هندي)،وبعد أن صافح (شاهر) مودعا وجيه.

لكن شعور المصافحة اختلف من الثقة والاحترام ،إلى العاطفة والقلق شعر بها وجيه .

لم يكن وجيه يحتقر الناس لأشكالهم ،أو لأعمالهم لكنه في تلك اللحظة شعر بالاحتقار لمرافقه (هندي)،والعطف على (شاهر) ،وكأنه يرى من يطعن بالظهر مجسدا بالموقف والأشخاص ،الغادر والمغدور.

كان وجيه قد مارس الخداع في أمريكا ،لكنه لم يشعر بالأسى والندم والخجل .

ربما لاختلاف الجنس واللون واللغة والديانة.

شعر بالأسى، بالأمس عندما قام بخداع ابن بلده الذي لا يعرفه، واليوم يشعر بالخجل ،لأنه شاهد الموقف بام عينه ، صديقان يتحاضنان ، واحدهما يغدر الآخر طعنا بالظهر وبسلاحه، سلاح وجيه.

وجيه لم يتسن له التفكير لردة فعل لما أصاب مشاعره من هزه ،لأن (شاهر) يتصل ويقول تفضلوا لنتقاسم الغنيمة .

بعد أقل من ساعة التقوا من جديد بالمكتب وأعطي (شاهر) ثلثي المبلغ واحتفظ بالثلث.

لم يستطع وجيه أن يقتل الإنسان به ،فنظر في عيني (شاهر) وقال له، أخي، أنا لا أعرفك.

ولا أعلم ظرفك ولكنا خدعناك لان الشيكات غير صحيحه ولن تصرف.

وهذا المال الذي نأخذه ستتحمل مسؤوليته القانونية بعد شهر ونصف،لا زال الوقت مبكراً فنحن لم نبرح المكان بعد،ويمكننا إلغاء كل شيء الآن ...!!!!!

لم ينظر وجيه إلى (هندي) ليرى تعابيره لأنـه كـان يراهـا مـن خـلال عيون (شـاهر) اللامعـة الـتي تتـأرجح وتنتقـل بانتظـام إليـه معاتبتـاً ساخره.

لحظة صمت واستغراب بدت علـى وجـوههم ،(شـاهر) كسـر الصـمت مبتسما ،،

اعرف ذلك بل إنني متأكد ولكـن مشـاكلي الماليـة اليوميـة لا تجعلـني أفكر لما بعد شهر ونصف ،وأعرف أنه مسؤوليتي القانونية .

لكن لا مجال لي بالحساب لأنني بأمس الحاجة لهذا المبلغ .

بدت معالم الفرح على وجـه (هنـدي) ،فقـال إذا لمـاذا لا نضـع أيـدينا ثلاثتنا ونكون شركاء بكل شيء نقوم بصرفه .

لأنه لا زال أمامنا الكثير ،وهكذا جنب (هندي) نفسه الإحراج ولكنه انكشف أمام شركائه الجدد.

قال الجميع وهو كذلك وتم الاتفاق ووضع الخطط ، تمكن الجميـع مـن كسب ثروات صغيرة .

ولكن بنظرهم كانت أكبر مما يحلمون به .

توطدت العلاقات بين وجيه وشاهر وأصبحوا أصدقاء من نوع خاص،جمعتهم الحاجة ،وقربتهم العاطفة،وربطتهم الشهوات .

ما هي إلا أيام حتى أصبح لوجيه مكتب خاص به.

ملاصق لمكتب (شاهر) ،بعد أن اتفقا على شراكة من نوع خاص.

قائمتاً على الاحتيال بالاستيراد من الخارج،من دون دفع الثمن .

خاصتا أن (شاهر) يدير شركته المختصة بالشحن البحري ،مكنه بمعرفة أسرار ونقاط ضعف يستند عليها، وتوفر الأوراق والمستندات اللازمة لإخراج البضاعة بشكل قانوني،أما وجيه فهو التاجر المستورد القادر على المراسلات والإقناع التجاري،والذي يستطيع السفر للمعارض العالمية واجتذاب المصنعين والمصدرين.

يزور الشركات العالمية ويوصلهم إلى الاقتناع وتوقيع العقود معهم بشروط الدفع التي تناسبه بعد أن يقنعهم بسلامتها ، وهو أيضا المسوق الناجح لقدرته على البيع والتعامل مع التجار.

هكـذا أصـبح مكتـب وجيـه رسميـا وواقعيـا ،وأنيقـا ويزيـده أناقـة السكرتيرة ومديرة المكتب .

نال شهرة سريعة بين التجـار لأنـه يبيـع بأسـعار منافسـه ممـا حـذا ببعض التجار أن يستعينوا به ليستورد لهم ،معتقدين أنه أمهر منهم بالشراء بأقل الأسعار .

هذا ما ساعد وجيه على جذب استثمارات أكثر .

بدايتا الأصدقاء والأقارب والأصهار ،ومن ثم الغرباء الذين تعرف بهم من خلال المجتمعات الجديدة التي لم يكن يعرفها قبلا،

عمان الغربية ، المليئة بالأموال والمغريات من جمـال النسـاء ،وأمـاكن السهر والوجوه المخملية.

كان مجتمعا لم يرى مثله حتى في أمريكا ،فجذبه بشده وأخـذ يتقـرب شيئا فشيئا حتى أصبح من سكانه ومن رواد مقاهيه وباراتـه ومطاعمـه الشهيرة باهظة التكلفة ،وأمسى ينتمي له بفترة لا تزيد عـن الخمسـة أشهر.

وجيه وشاهر

ازدهـرت الأعمـال وتطـورت بـلا مشـاكل ولا قلـق بـرغم المطالبـات الخارجية لهم بسداد ما عليهم ،ولكنهم لم يأبهوا لأحـد ،فعملـهم قانوني مئة بالمئة وتحسبا لأي طارء أو خطأ كانا يستعملان أسماء مستعارة ،وعناوين بريدية لا تعود لهما ،هذا إذا تم تعقبها أو تعقب حتى الإتصالات .

لكن الحنكة والذكاء لم تكن حكراً على أحد بذاته. أحدهم يسأل عن شخصين ، ،هم أسماء ،

أسماء مستعارة كان وجيه وشاهر استعملاهما في إحدى صفقاتهما مع مصنع في كوريا الجنوبية .

لا يوجد أحد بهذا الاسم ،أجابت السكرتيرة ،مضى في طريقه ولكن نظراته أثارت ريبتهم،فقررا الانفصال على الفور ورحل وجيه لمكتب آخر في نفس المنطقة الواسعة المترامية الأطراف .

مع أن الصداقة بقيت ،إلى أن العمل بينهما توقف ،حيطتاً منهما .
قاما بالاستعانة بمحامي صديق قديم (لشاهر) يدعى(عناد) وسرعان ما أصبح صديقهما المشترك. الذي يدافع عنهما عند أي طارئ،وما وطد العلاقة .

(وجيه، شاهر ،عناد)، شهوة المال وشهوات المتعة من نساء وسهر وخمر بالاضافة أن (عناد) كان له صوت فكاهي يضحكهم .

في بداية الأمر تعرض وجيه لهزه مالية أثر انفصاله عن (شاهر) ، لكنه لم يشعر أحد بها بل على العكس. أوحى لكل من حوله بأنه أقوى وأنه بدأ تجارته الخاصة مع أشخاص أقوياء وأصحاب نفوذ وسلطه .

كان يتعمد إذا دعا أحد أصدقائه الجدد لسبب المجاملة ،كان يدعو (عناد) كنوع من الحماية القانونيه ولكن ما يُكِنُ ليس كذلك.

أصبح انطباع المحامي عناد عن وجيه، مبهم بل إنه كان دائما يتهم وجيه بأنه يخفي الكثير ولا يبوح إلا بالقليل .

وأقنع نفسه أيضا بان وجيه يملك الملايين ،فمن يجالس علية القوم أمثال ضيوف وجيه ،لا بد له أن يكون بنفس مستواهم المادي أو حتى نصف مستواهم المالي على الأقل .

لم يكن وجيه ينفي هذه الاتهامات الجميلة التي ترضي غروره وتوصله إلى أهدافه.

ولم يكن يقر بها ،بل إنه كان يترك الإجابات فارغة ومبهمة ،وهذا ما كان يجعل المحامي عناد يتمسك برأيه ويزيده إقتناعاً.

كان أمثال المحامي (عناد) ممن أصبحوا مقربين ، هم ذاتهم من يضعوا الهالة حول وجيه إلى أن وصل لقناعة أن يستثمر ما يستطيع جمعه من أموال من أقارب وموكلين ،حتى أن الطمع أعماه فأصبح يستعمل أموال موكليه بدون علمهم ،طمعا بالثراء.

في تلك الأثناء كان وجيه يفتتح أول معرض تجاري رفيع المستوى بتكلفة باهظة .

اختار طريق صحيح لكسب المال عله يكفي نفسه ومن حوله من مستثمرين ومرابين.

مشروع ناجح لكنه لم يبنه بماله بل بأموال المستثمرين ،أصبح يدر الكثير من الأرباح ،ولكنها لا تكفي حاجاته وأرباح المستثمرين التي اعتادوا أن تكون أرقام كبيرة .

بعضهم بدأ يفكر وانسحب مما تسبب بأثقال كاهل وجيه ،ولكن الحل السحري كان دوما في جعبة المحامي(عناد)الذي أصبح من أقرب المقربين إلى وجيه ،والحل السحري دائما مكلف ،فكل شيء بثمن.

وجيه ترهقه تكاليف الهدايا وتثقل كاهله الولائم والسهرات الماجنة المكلفة،حتى تفاصيل بيته ولبسه وسياراته ،أصبحت من المفروضات والمسلمات لكي يستطيع أن يكمل الطريق ،لأن أي هزة تبدو عليه، ستحدث زلزالا مدمرا لكل ما بنى على الهواء.

السعادة والأنا

السعادة والأنا

قد يستطيع الإنسان أن يجد نفسه ويصل إلى أعماقها ومتطلباتها ،إذا استطاع أن يتغلب على ((الأنا)) التي تغلفه منذ الأزل .

إذا ما تجرد الإنسان من الزخرف والإكسسوارات التي تثقل كاهله، وكاهل الآخرين من مجتمعه .

مهمة ليس بسيط كما تكتب على ورقة ،أو تسرد في حكاية ،بل إنها المهمة الأصعب والأعنف على الإطلاق.

إن يتجرد المريء من كل ما أثقل كاهله وشده إلى معركته مع (الأنا) ، وعراكه لإثبات نفسه للآخر .

إن الزخارف والفسيفساء والوضع المادي الظاهر.

أن الترف الذي يفقد طعمه ورائحته تحت ضغط الاحتفاظ به والدفاع المستميت عنه.

والحرب للحفاظ على وجوده.. ليس ترفا بل إنه يصبح قرفا .

ما يثقل كاهل الإنسان من متطلبات العصر، من منازل فخمة، وسيارات فارهة ومظاهر ترف لا تَظْهَر إلا للآخرين فقط ،ما هي إلى وسائل استعملها الإنسان لتكون ضد سعادته.

السعادة الخالصة المرجوة من الإنسان لذاته ربما كانت هي أساس الخلق ومغزاه ،لكن الإنسان رفض السعادة الظاهرة والمباحة ،التي هي من حقه. وبدأ ببحثه عنها بين ركام ضغوطات المجتمع ونظرته، وبين الثراء المصطنع .

بحث عن السعادة في المادة، التي تزيد عن حاجته كإنسان.. وأُجهد نفسه في تمتيع غرائزه التي تزيد عن حاجاتها أيضا، بل إنها تثقلها وتفقدها رونقها ولذتها.

هل السعادة هي ذاك السراب الذي يتلألأ لناظره من بعيد ،فيلهث خلفه محاولا الوصول إليه.

أم أنها خُلِقَت معه فضيعها وداسها معتقدا أن مقدراته لا تكفي.

ربما تكون السعادة أبسط مما ما تسوله إلينا أنفسنا ،ربما كانت قاب

قوصين أو أدنى ولكن.. بُعْد نظرنا يفوت علينا رؤيتها والتمتع بها.

السعادة غريزة مثل كل الغرائز الجميل منها والقبيح ،ولكنها تكملني.

غريزة واضحة ولكن الإنسان جار عليها وأفقدها حواسها، مستعملا غرائزه الأخرى من خوف وطمع وجنس وجوع وخداع .

إن الشرائع والقوانين البشرية،ساعدت الإنسان على طمرها ودفنها ، فَسَنت قوانين تعالج الخوف، فتتظاهر بالحماية ،وجرمت الطمع، فقيدت الغريزة ،وصفت الجنس بجريمة، وربطتها بالأخلاق فكبلتها، وأباح المشرع الجوع وصنع أبواب الشبع لكنه احتفظ بمفاتيحه.

خدَر العاطفة بمخدر قوي له انعكاساته وأثاره الجانبية إذا ما قدر للإنسان أن يحيا بعد صحوته من المخدر الأزلي ((المادة)) ،

السعادة ،هي حضن الأم ورشفة حليب من صدها الممزوج بالعاطفة والحنان ،السعادة هي أول خطوة لطفل مكنته من الاكتشاف والمعرفة والفضول .

السعادة هي حماية الأب وذوده ،مما يجعل الطفل يظن أن أباه أقوى إنسان في الوجود وأنه القادر على رفعه بيدٍ واحده وقذفه إلى الفضاء ومن ثم التقاطه واحتضانه .

السعادة عائلة متشابهة بالغرائز والرضى عنها ،السعادة بيت يحضنه بدفئه وأمنه ،ويأويه .

السعادة حيهُ الذي ترعرع فيه واستضمت غرائزه. بغرائز الآخرين من أبناء جنسه .

السعادة لها من الأشكال والأوصاف ما يفوق المادة ومن شرعها ووضعها شرط للسعادة بآلاف المرات .

السعادة أبسط من أن تعقد وترتبط بالمادة .

المادة التي أوجدها المشرع والحاكم لتكون مصائرنا ،وغذائنا، وتميزنا... وفقرنا والغنى المزيف .

إن من وضع الحدود الجغرافية للإنسان ،أن من فرق جمع الإنسان وخص كل طائفة بلغة لا يفهمها غيرهم وألصقه بديانات ومعتقدات تخصه دون غيره.

أن من صك إلنقود لتكون ثمن من أثمان السعادة ،لهو المشرع الحكيم، الذي أيقن أن أهم أسرار الإنسان وأقواها .

السعادة والرضا عن النفس ،فوضع يده عليها واستملكها وتحكم بها كما يشاء .

استعبد الإنسان ، باعه واشتراه ...فكان السيد وكان العبد ،وكان العامل وكان الإقطاعي ،وكان القوي والضعيف ،الجميل والقبيح، الطويل والقصير ،وكان الغني وكان الفقير .

لكن الإنسان لم يكن سيدا لعبده بل كان عبدا استعبد إنسان آخر.
إن الخالق لم يخلقنا ليستعبدنا كما نعتقد وكما قيل ،أننا عبيد الله أو الرب أو أي مسمى آخر نطلقه على الخالق عز وجل .
لقد خلق الإنسان ليكون نفسه حرا غير مستعبد واسع غير محصور متكلم بلغة يفهمها أبناء جنسه كافة ،قوي بجسده وَأُفُق عقله، ضعيف أمام نزواته وغرائزه الجسدية ،خطاء وتواب ،قاسيا وحنونا، غالبا ومغلوب.
المشرع زرع القبلية في الإنسان منذ أن أصبح قائدا لقبيله وقاضيا ومشرعا .
وضع مقاييس الاختلاف والتميز الزائف الذي يميز إنسان عن أخر،عبدٌ عن سيد،أبيض أو أسود.
فكانت المعارك والحروب وسفك الدماء وتجيير الغرائز لتصبح سلاحه ضد ابن جنسه .

صنع القبلية وخط الحدود وغير اللسان وزرع العنصرية والإقليميه .

هي ذاتها العنصرية التي جعلت الإنسان عنصر في مركب ،هو جزء من معادله .

مع أن الخالق شاء أن يكون الإنسان بذاته هو المعادلة الكاملة.

الإنسان سعيد ما دام يرى بنظره هو ذاته وليس بنظر النظام والمشرع .

الإنسان قوي برغم ما وصف به من ضعف لضآلة جسده أو كبره بنظر المشرع.

الإنسان جميل إذا ما رأى ذاته بام عينه وليس كما يراه المشرع ويصفه بالقبح. لأنه هو من وضع مواصفات للجمال ،والذكاء،القوة والضعف.

الإنسان هو ذات المعادلة.

قد يكتشف الإنسان أو من حوله قوة ما ،موجودة بجسده المكون من أوزان وأطوال بالسنتيمترات.

قـد يكتشـف أن قوتـه الجسـدية تفـوق كـل الحسـابات والدراسـات الفسيولوجيه والبيولوجية، فيسميها حالة خاصه أو يصـفها بالخـارج عن المألوف .

وصف لحـادث سير حـدث بـين سيارتين وكـان في إحـدى السيارتان أخوين، وانقلبت السيارة على اليمين بكل ثقلها الذي يزيـد عـن ألـف كيلوغرام، يتمركز فوق أحد الأخوين ،وكانت الصـدمة أن الأخ السليم الذي لا يزيد وزنه عن تسعين كيلوغراما.
ولا يفوق ما كان قد حمل يوما مئة كيلوغرام .

وإذا به يدخل في حالـة مـع الـذات ،استوحد مـع غرائـزه وكأنـه فقـد ذاكرتـه وثقافاتـه وحسـاباته البيولوجيـة والنظريـات الفسـيولوجيه للحظات ،لما رأى أخاه ابن دمه تحت حمل السيارة.

يمد يداه لجسد الألف كيلو (السيارة).. ويرفعها بكلتا يداه المجردتين، ويسحب أخيه من تحتها .

قال البعض إنها قوة خارقة،،، لكنه حاول بعدها مرارا وتكرارا أن يحمل أكثر مما كان يحمله قبل الحادثة وفشل.

إنها حالة ليست خاصه ،ولا تتصف بالمعجزة بل إنها طبيعة الإنسان الحقيقية .

ويمكن لكل إنسان أن يدخل إلى نفسه ، فيجد القوة ليجابه من التحديات الجسدية والعقلية والعاطفية ،مما لا يقبله المنطق أو منطق المشرع إذا ما جاز التعبير.

ويتحتم عليه ألا يجعل محور تفكيره مرتكزا على المادة أو السراب، بل على ذاته .

حتى المفكرون والمخترعون والفنانون والكتاب ،إذا لم يتحرروا من قيدهم ((المادة)) بجميع مسمياتها وأوصافها، فلن يجد الإبداع طريقا لهم.

إذا ليسعد الإنسان ،يجب عليه أن يبتعد عن المحور المصطنع..المفروضات.

المسلمات،أو الواقعية كما يسميها البعض .

هناك الكثير من الأمثلة التي تثبت هذه النظرية طفل وُصِف بالغباء والبلاهة ،وتقصيره في الدراسة،وعندما أصبح في الخامسة عشر من عمره. أصابه عمى البصر ،لكنه استطاع التوحد مع ذاته وملامستها واكتشاف قدراتها ،فأصبح بتهوفن ، أساس الموسيقى وبنيتها التحتية، والأمثلة كثيره للإبداع.

لن يستطيع الإنسان أن يفكِ قيوده إلا في حالة التوحد مع الذات وتحسس أعماقها ومحو معتقداتها التي ألصقط به فدنسته،وحطت من قدره وفُرِضت عليه ، كما فرضت على الكثير من سلفه من بني الإنسان.

لقد فقد وجيه المتعة بأي شيء لان كل شيء في حياته أصبح مزيفا ،فقد الإحساس بالشيء ، وبشكله وطعمه .

في السابق كان يجد المتعة حتى في أحلك الظروف ،ولكنه الآن فَقَدَ ذلك الشعور المميز الذي ربما كان السبب بحفاظنا على حياتنا ،وخوفنا من الموت .

بحث في غبار نفسه عن صديق أو أنيس يفهمه أو يُفهمهُ ماذا يحدث في داخله.

اتصل بصديقه القديم الغير بعيد (شاهر) ،وطلب منه أن يزوره للضرورة.

لما وصل ،جلسا متقابلين ولكن عيونهم كانت هاربة ،بدأ وجيه الحديث وشرح له ما يكتنفه من مشاعر غريبة ومؤلمه ،أخبره أنه فقد المتعة والمذاق بأي شيء.

نظر (شاهر) ساهما إلى ألَلا شيء،وقال مستهزئا بحزن غير ظاهر، وسئله متعجباً: وقبل ذلك ؟؟؟؟!

رد وجيه ،كنت على خير ما يرام ،، اعتقد ذلك.

(شاهر)، ألا زلت تذكر طعما للسعادة! ! ، أجاب وجيه ،طبعا وغير بعيد ، نهض(شاهر) ومد يده لوجيه بلغة تمثيلية واضحه ،إذا أهلا بك معنا في ساحة اليأس أما أنا فلم أعد أذكر طعم السعادة منذ زمن او ربما منذ الأزل ،لا أستطيع يا صديقي مساعدتك بشيء .

غادر تاركا وجيه أمام معضلته،يائسا ،مكتئبا مجردا من الابتسامة حتى المصطنع منها.

في ذلك اليوم ،في مدار ذات الساعة.

يوما لا ينساه وجيه لأنه كان يوما بوجهين لذات الحقيقة.

الشهوه و العاطفه

كان يوم من أيام أبريل الدافئة الحميمة التي تلبس فيها النساء ما تشاء.

وتتعطر المرأة بما تشاء من روائح زكيه،وتجلب من تشاء وتغوي من تشاء بإرادتها.

وتمنع كل ما سلف بإرادتها أيضا إذا استطاعت.

يراها الرجل كيفما يشاء متحررة الجسد ومعطرة كنسمة صيف، فضفاضة اللبس ليتحرر جسدها ويعانق النسمات .

قصيرة الثوب تاركة لجمال ساقيها العنان ليغازل عيون الرجال ويتحرش بهم .

يراها ممزوجة بالجينز الذي يضيق بها ليجذب كل مكبوت أن يفجر كبته وكبتها،وإرادتها التواقة للانفجار والتحرر أم يراها هادئة تلملم ثوبها التواق إلى الحرية ،لكن ما تخبئه أثمن عندها من أن يراه الرجال ،برأيها ولسان حالها.

ذكية يشع الذكاء والحنكـة مـن عيونـهـا فيعطيهـمـا ذاك البريـق الـذي ينعكس على وجـهـها فتراه قمر معلق فيه رداء.

لا شيء يسعد مثل القمر.

فيجـذبك التحـدي وثـراء التجربـة أن تـرى مـا لا يـراه غـيرك.

وتشيح وجهك إلى ظل من تتمناه مجتمعا في امرأة.

إلى ما تحلم به كحلم يأبى أن يتجسد، وتمشـي تاركـا ثـروات الرجـال خلف ظهرك ثروات الرجال التي لا تـأتي بـالتمني،بـل بجـهـد لـيس هين وربما أحيانا يصبح صعب المنال .

تشيح بوجهك وتهـرول راكضا إلى داخلك،،،،،،،، لتجدها حية بين عينيك .

رطبة الجسد بين يديك حلوة المـذاق تحـت شـفتيك كشـهد تفـرزه مـن ريقها، تريد أن تغرق شفتاك بهم وتمشي وتلعق أصل العسل.

(دعد) لم تكن يوما فصل في رواية،بل كانت الروايات أصلا في فصولها.

(دعد) تعبر الباب ،وتقول صباح الخير سيد (خليفـة). صـباح الخـير

مدام يرد (خليفة) مع ابتسامة عريضة كاشفة كل أسنانه المزيفة البياض.

أصبح (خليفه) موظف يعمل في معرض وجيه بعد أن قام رب عمله بطرده من العمل .

لطالما تمنى أن يفهم ابتسامته على ماذا ، وما تعنيه أن يرسمها ويتقمصها لدرجة ان اصبحت صفة به.

هل لأنه يدعي الأدب،أم أنه معجب،أم أن صباحه كان جميل ،وهذا مستحيل لان أول ما يفتح عيناه عليه هو قبح زوجته.

(دعد) متسائلة،هل قرأتم عرضي لكم في العدد الجديد للمجلة، وتنتظر الإجابة مبتسمتا مرحة يتكلم جسدها قبل لسانها ،أتمنى أنه نال إعجابكم.

وجيه يجلس في مكتبه ويشغل نفسه بحسابات كلها خاسرة لدرجة أنه مل من أن يكمل معادلة واحدة ،تتكرر دائما ربما منذ الأزل .

وهو في خضم تعبه وإرهاقه من ملله،وتفكيره بكلمات (شاهر) التي لا

زالت تطن في اذنه حتى تصدع رأسه وثقل صدره،رافضا أن يحيى على هامش السعادة .

تلفت إلى يساره، تلفزيون المراقبة الذي ينقل الصورة فقط من محل الألبسة إلى المكتب الموجود بمؤخرة المحل ويفصل بينهم جدار وباب .

يلفت نظره، جمهرة حول مكتب المبيعات كانوا أربعة موظفين قلما رآهم مجتمعين في لحظة واحده.

ركز النظر أكثر فرأى وجيه (دعد) لأول مرة،كانت تقف بينهم ويتحادثون،والإبتسامة واضحة عليهم.

نادى وجيه على (سعيد) فجاء مسرعا وكأنه كان ينتظر النداء ، معلم وجيه .. مدام من الآخر!

وعيناه تشعان إعجابا ،وهي ليست زبونه أنها صاحبة مجلة كانت قد أتت لنا بعرض للدعاية ،فقال لها (خليفة) مري بنا بعد يومين لنأخذ قرار ،ألم يخبرك؟

وعلي فكره معلـم اعتقـد أنهـا تظـن أن خليفـة صـاحب المحـل،قالهـا (سعيد) بنغمة مكر ساخرة .

(سعيد)،ابن أخت وجيه ،يعمل لديه موظف لكن وجيه يعتبره ذراعه اليمنى.

وجيه يطلب من (سعيد) ادخلها بسرعة إنها تهم بالمغادرة،كانـت قـد غادرت لثوان لكن (سعيد) نـادى عليهـا فسـمعته فعـادت الى المعـرض متسائلتاً.

(سعيد) مبتسم وكان يفرق النظرات بسرعة لتلمس (خليفة) وتلمسـها في أن واحد المعلم يود أن يقابلك.

(دعد) : جميل فعلا فرصة جميلة أن أقابله مع أنني اعتقدت أن السيد خليفة هو المالك مع ابتسامة رقيقة ربما سادها بعض الإحراج والتـوتر (لخليفه) .

وجيـه يراقـب بـتمعن التلفـاز ويراقـب حركاتهـا ومحـاولا التأمـل في ملامحها لكنه لم يستطع لأنهـا وصلت .

مرحبا أنا (دعد) ،كيف حالك سيد؟؟ متسائلة ، ،

وجيه : اسمي وجيه ،

تشرفنا سيد وجيه ،

تشرفنا ! عفوا انسه أم مدام مبتسماً وسائلاً ؟

مدام دعد لكن ناديني (دعد) أنا أحب اسمي بلا ألقاب .

يمد يده مصافحاً لها مستجديا لمسة .

لمسة غيرت مجرى حياته، تقدمت خطوة بيمينها ومدت بجسدها مستعيناً بطول يديها المتناسق مع كل جمالها تلك اللحظة .

شعر وجيه برعشة داخلية ،امتدت خلال جسده لتصل إلى عقله ليمحي ذاكرته الغير مرئية ،رعشة أفقدته كل قيد وشرط لوجوده.

رعشة ضربت بعرض الحائط القوانين والنظام والأخلاق التي فرضتها الشرائع ،رعشة لن ينساها وجيه طوال حياته .

لحظة حرية مع الذات وغوص في أعماق النفس والبحث عـن النفـائس.

من غرائز مكبوتة ومكبلة بقيود من حديد صدأ،حديد يؤلم ويدمي مـن أراد التحرر منه .

جلس وجيه أمامها أربع ساعات ونيف .

لم ينقطع يتفحصها بعينيه تارة وأخرى بقلبه وأخرى بصـوتـه ،كانـت الطمأنينة والسكينة والتوحد مع غرائز الذات البشرية المثقلـة الهمـوم ولكن حرة تلك الساعات بلا قيود،حرة كما قدر لها أن تكون .

(سيد وجيه)

أنـــا يجــب أن أذهــب ،لقــد تـــأخرت جــدا وأتمنـــى،إن نجلـــس أخرى،وأخرى ، وألف مرة .....

ربما في المرة القادمه نتكلم عن عرض المجلة. قالتها ضاحكتا مسترسلة الابتسامة فلا تنقطع .

مـع السـلامة مـد يـده إليهـا وكـان عـزاؤه في فراقهـا أنـه سيلمسـها، سيتحسسها دون أن يَشعُر أو يُشعرها .

صافحها بطريقة ليست طريقته، لم يستطع أن يخترع مثلها ،كأن حواسه تسلم عليها .

انه السحر بعينه، ،وألقى وجيه نظرتا إليها وهي مغادرة،فرأى أنثى بمعنى الكلمة.

أنثى كاملة المعالم وكأنها الوضوح بذاته،كان يريد أن يغمض عيناه ماسكا طرفا من جمالها للحظات، خوفا من أن يرى أحد بعدها،،،

انتهى ذلك اليوم من أبريل الربيعي الجميل ،لكنها لم تغادره لحظة وكأنها غيمة تظلله ،وتمنع عنه الشمس وضوء القمر ،غيمة لا تنقشع إلا بوجودها .

في اليوم التالي ،يأتي وجيه مبكرا وأنيقا على مثل عادته لكنه أضاف شيء لأناقته وعطره .

النظارة سميكة الإطار لتخفي شيئا من اللون الدكن حول العينين وتعطيه وقار الشباب،ونوعا من ثراء المظهر ، الذي كان يعني له الكثير عادتا.

لم يعني له شيء في تلك اللحظات وكأنه متأكد من أنها وصلت إلى ثرائه الداخلي، ثراء الجوهر فيه .

كان يجوب (المول) برفقته (خليفة)، ليقنع من يراقبه من تجار وموظفين يقتلهم الفضول عن التاجر الشاب الذي يقاربهم سنا، والذي تفوق عليهم بزمن قياسي .

إنه في جولة عمل وليس جولة رفاهية أو بحث .

كان يختار الاتجاهات التي يمشي بها وكأن حواسه تقوده ،وصدقت حواسه ،لم يمش الكثير ليجدها لم يبحث إلا بالأمل واستجداء القدر.

تمنى أن يكون القدر معه، ولو مرة في حياته .

ها هي ،كانت تتبادل الحديث مع شخص .

كان يبدو عليها الإرهاق وبدا عليها الارتباك لما واجهها عن بعد مترين مبتسما ، كيف حالك مدام (وعد)،ذكر اسمها قاصداً أن يخطأه. (دعد) ،ومدت يدها ثانيتا وصافحته ببعض حرارة ،وقامت بتقديم زوجها له (دكتور سمور)،

وتقديمه : السيد وجيه مالك ذاك المحل.

تفضلوا لشرب القهوة .. تفضلوا أنا أصر على التعرف بك يا دكتور، إذا لم يكن لديك أي مانع ،،

ما كان لوجيه أن ينسى اسمها أو يتلعثم به لكنه كان حريصا عليها، من أن يعتقد من معها، بأنه يعرفها جيدا ،ولم يكن يعلم نوعه.

مع أن (دعد) كانت قد وصفته على أنه دكتور يحاضر في جامعه، ينحدر من البدو ولكنه متحضر ،لم يتصور وجيه مدى تحضر الدكتور، أو مفهوم التحضر بالنسبة لإنسان بدوي مهما تقدم في العلم والانفتاح .

ترافقوا إلى المحل ثم المكتب ،وجلسوا وتحدثوا وتناقشوا ،وكل منهم قدم شخصيته للآخر ،على طريقتهم ،بالكلام والنظرآت والإيماءات.

لكن شخصية الدكتور(سمور) لم تقدم نفسها لأحد ،لا لزوجته (دعد) ولا لوجيه.

فتركت مبهمة تتشكل بشكل المواقف .

كان نوع آخر من الناس لا يفهمه أحد لشدة انغلاقه على نفسه وكبر تحرره غير المبرر الذي لا يتناسب مع مجتمعه.

كان غريبا بكل شي ابتداء من اسمه (سمور) وقامته القصيرة لدرجة مفرطة،فبدا بجانبها مثل شيء تصطحبه معها.
حتى لهجته كانت غريبة لدرجة أن (دعد) كانت تطلب منه أن يوضح بعض الجمل لأنها لم تفهمها.

لم تكن تشعره بالإحراج بل على العكس كانت تمدح خصاله وتمجد ذكائه.

تحاول أن تذكر محاسنه أمامه، ربما قاصدتا أن تحفزه ليظهر قدراته أمام وجيه،وكأنها تريد أن تقول لوجيه ،زوجي من النوع الجيد وأنا أحترمه ويجمعنا بيت وحب وتفاهم واحترام متبادل.

ربما ليس لفترة طويله فقد مضى على زواجهما سبعة أشهر فقط بعد خطبتا دامت شهر واحد وقد تعارفا قبل الخطبة بأسبوع،فهم وجيه الرسالة الذي تحاول (دعد) قولها وإرسالها له ،لم يسعده ما سمع لكنه رضي به .

إنها تحكم على العلاقة القادمة بينهما أن تكون صداقة ولكنها تعلم في قرارة نفسها أن العلاقة لن تكون كذلك ،ولكن وجيه رضي بذلك من مبدأ نصف العمى أفضل من العمى كله.

غادرا المكتب وودعهم وجيه إلى الباب ،احتراما وإصرارا على تكرار اللقاء للحديث عن العمل بينهم على الأقل،تأكد أنه ترك أثراً في نفسيهما.

عاد إلى مكتبه متلبكا وعلي غير عادته،هل أثرت اهتمامها، هل سأراها قريبا!

أم أنه أفرط بإبداء إعجابه المؤدب والمتحضر بها ،فخافت ولن يراها ثانينا !

ربما لسعتها نظراته الساخنة ،وأيقنت خطورة مستقبل العلاقة قبل بدأها فأثرت الانسحاب.

ربما أن زوجها (سمور) استشعر الخطر فأثر الانسحاب وإختصار العلاقه،وهذا أكثر ما كان يقلقه.

مرت الساعات ببطيء شديد ذلك اليوم ، بدأ يعد الساعات فربما يراها غدا،أو بعد غد.

حاول أن يلهي نفسه بأي شيء ،خوفا من تفاؤله المفرط فرما لن يقابلها أبدا مرة أخرى .

خرج إلى ساحة المعرض حتى وقف بالباب ،كان يريد أن يتأمل كل الفتيات آلاتي يمرون من أمامه عله يلتقي بوجه ينسيه (دعد) ،ليبعد الأمل قليلا عن قلبه.

(سعيد): ينادي معلم وجيه الموبايل ،أحد يتصل بك. دخل وجيه مسرعا إلى المكتب كان قد ترك الموبايل ورائه في المكتب .

لا يصدق عيناه ،اسمها على الموبايل ،ربما نسيت شيء في المكتب !!!

وجيه: الو، بصوت الواثق الرزين ، أهلا مدام (دعد).

(دعد) :أهلا بك (سيد وجيه)وتسهد بالكلام.

أنا و(سمور) جالسين في مطعم وبار (كنباي) ،ونتمنى أن تنضم إلينا، إذا كان وقتك يسمح ،وكان يبدو على صوتها الخجل وبعض ألارتباك.

وجيه: صدقيني دعد ،أقصد مدام (دعد) ،لكم أتمنى ذلك ،لكن،،، العمل ولا أريد أن أزعجكم .

(دعد) : على العكس لا يوجد إزعاج ،فإن دعوتك كانت فكرتنا المشتركة، أرجوك تفضل نحن بانتظارك .

وجيه: دعوتكم لا تُرد،، مسافة الطريق وأكون هناك.

اقفل الخط وخرج مسرعا إلى ساحة المحل متناول معطفه الصيفي،رتب هندامه بعجالة ، ورش من عطره المفضل .

كان تنتابه مشاعر الفرح والابتسامة ،وكأنه يستنشق تلك النسمة المنعشة التي نسيها منذ زمن .

ذهب إلى المرأب ركب سيارته الجيب ،وانطلق مسرعا نحو الدوار الثالث في جبل عمان ،محاولا أن يسلك أسرع الطرق إلى هناك .

وصل إلى المكان الذي لم يكن زاره من قبل ،فوجدها بانتظاره على الباب واستقبلته بحرارة وكأنها تعرفه منذ زمن ،وبادلها الاستقبال بحرارة وكأنه يعشقها منذ زمن ....

كانت قد غيرت ملابسها ،وتحررت بفستان قطني أبيض اللون، فضفاض ويكشف لون جسدها المبهم .

كأنه بياض الأصالة والنقاء لسيقانها الغنية بالجواهر والعسل مختلطا بسمرة الرقي الناعم الذي يظهر من الكتفين وجزء يسير من الظهر والصدر .

جسدها يتناغم مع كل شيء حولها بل إنه يمتزج بالهواء فيضفي على الجو السعادة والجمال .

(سمور)، يقف منتظرا لحظات وصولهم له بلطاولة،تبادلوا المجاملات، تحدثوا في مواضيع شتى ،وشرب وجيه و(سمور) الخمر ،لم تكن (دعد) تشرب الخمر ،من مبدأ الدين والتقاليد والعادات.

هي تجلس أمامه .

نظر إليها وكأنه يطلب من الزمن أن يتوقف لساعات ،حتى يشرب،يشرب من بريق عينيها حتى الثمالة.

ولكنه استأذن بالذهاب لانه كان يجب على أحدهم أن يستأذن،كان مبادرا ،وذهب إلى الخارج بعد أن دار حديث قصير خلال وقوفهم بانتظار الموظف الذي سيجلب السيارة من المرأب.

استغل وجيه تلك البرهة ليدعوهم إلى العشاء في اليوم التالي ،فاقترح الجميع مطعم الأرجيلة ، وقبلوا الدعوة بكل سرور.

. .

غادر عائدا إلى المعرض ،وهو في نشوة السعادة،أو الانتصار،أو ،أو ، أي شيء ، انها نشوة لم يشعر بها منذ زمن طويل .

. .

في تلك الساعات ،تناسى وجيه كل مشاكله المالية ، وكأنه يطلب إجازة طارئة من عقله ليهديها إلى قلبه التواق للبحث عن النشوة.

لقد بدا واضحا فرحه على وجهه .

استوقفه (خليفة) بابتسامته اللا متناهية الصفراء وبريق عينيه المل،
ماذا حدث معلم وجيه ،هل شربتم القهوة ،كان سؤاله مبني على
نقاش كان دار بينهما في أحد الأيام عن العلاقات العابره .
وكان رأي وجيه انه يستطيع أن يلقي شباكه على أي امرأة تقبل دعوته
لفنجان قهوه .
صحيح لقد شربنا أكثر من قهوة .
آه يا خليفة أنها رائعة بكل المقاييس ، أخبرني عنها ماذا تعرف،
هل هي شريفة ،أو عفيفه، أخبرني كل ما تعرف بصدق أرجوك .
يجيب خليفة وقد اختفت الابتسامة شيئا فشيئا ، وكأنه يريد أن
يعطي محاضرة في علم النفس كعادته.
انها سيدة محترمه .
نشيطة وبرغم تحررها إلا أنها تفرض على الآخرين احترامها،لدرجة
كبيره.

جواب (خليفه) أثلج صدره ،فهز رأسه راضيا وتبسم ابتسامة نقية خالية من أي شائبة،لم يكن يتمنى أن يسمع غير ذلك الوصف في اليوم التالي ،كان موعدهم الساعة الثامنة مساء ،وكان الجو ربيعي صيفي المساء، تقابلوا على باب المطعم وتصافح الجميع .

جلسوا على طاولة مميزة ،كان وجيه قد أصر عليها عندما حجز في المطعم.
طلب الكثير من الطعام والمقبلات ،وشرب وجيه و(سمور) النبيذ الأبيض المستورد من تشلي.

طالما أحب وجيه مذاقه ونشوته فشربا حتى الثمالة . (دعد) لم تكن تشرب الخمر ولكنها ثملت أيضا ربما أثملتها نشوة الانسجام مع رجل آخر لم تقابل مثله في حياتها وشعورها بانها لم تكسر قيد العادات والتقاليد لأنها تحت غطاء زوجها وحمايته .

ثملوا ورقصوا رقصة جماعية علـى أنغـام موسـيقى صـاخبة ،تشـابكوا الأيدي فذابت يد (دعد) في يد وجيه ،حتى شعرا أنـهما كتلـة واحـده بجسدين وقلبين.

تطورت العلاقات ،وجيه و(دعد) حتى أدرك كلاهما أنه الحب .

حب جميل من نوع مميز لأنه محفوف بالمخاطر لكن (د.سمور) لم يبد مباليا بما يدور بين قلبي زوجته وقلب وجيه .

(دعد) حاولت أن تلفت إنتباه زوجها لما يدور في خلجات نفسها،كانت صريحة لدرجة أنها شرحت له مـا يكتنفهـا مـن مشـاعر خفيـه تجـاه وجيه.

في إحدى المرات طلبت منه صراحتاً أن يحميها مـن مشـاعرها ويبتعـدا عن وجيه ،لكنه لم يسمعها ولم ينصت لمشـاعرها ومخاوفهـا،بـل أنـه زجرها قائلا:

من تحسبي نفسك بإدعائاتك،أنت لست جميلة كما تتصورين ،ولا أظن أن مخاوفك من وجيه مبنية على أي شيء سوى عقدتك وخوفك الاجتماعي من الأخر.

بل أن عقدتك تطورت لدرجة انك تطلبي مني الابتعاد عن أول صديق، أجد الانسجام والتوافق معه !!!

والأن إن لم تنسجمي،فإني أمرك ان تفعلي من أجلي ومن أجل مستقبلنا، ربما كان وجيه فرصتنا للتفوق .

لم يكن (سمور) يوما عائقا بوجه حبهما الذي أصبح متأصلا ،حتى إنه استحال على أحدهم أن يمر يوما بدون أن يتقابلوا لساعات .

كان وجيه من النوع الذي يحرص أن يقلب أوراق نفسه كل فترة ، فيبحث في طياتها عن أي تحول أو اختلاف تضاريس ،استذكر لقاءه مع (شاهر) الذي قال له قبل أن يهم بالمغادرة ذات يوم .

(أهلا بك إلى ساحة التعساء) فضحك ،كمن يضحك فرحا ممن ينجو من أنياب أسد أو حبل مشنقة ،وأيقن أن صديقه (شاهر) على خطأ .

في الأمس القريب وجيه يشكو من فقدانه المتعة في أي شيء ،ولكنه الآن يستمتع بكل شيء مع (دعد) أو بمجرد رؤيتها،لقد أعادت له طعم الحياة بلذتها وسحرها.

كانت (دعد) الصخرة التي أوقفت وجيه وهو يتدحرج إلى الهاوية، هاوية نفسه ، شعر أن السعادة فتحت شهيته للحياة ،ولكن كيف ؟؟؟ فالدين يثقل كاهله !!!

ربما ينعكس الحب على صاحبه، بدا مرتاح ومحبا ومبتسما أمام (المحامي عناد) ولم يكن يمثل هذه المرة لأنه أصبح نقيض الأمس.

استدرك (عناد) أن لا شيء يفرح مثل الأرباح والأموال ،فسأله بلحظة سعادة ،ماذا عن المعرض.

أجابه وجيه ،انه وجه الخير علي وكان يعنيها لأنه تعرف على (دعد) من خلاله ، لكن (عناد) لا يهتم لحواشي الكلام فعرض على وجيه المشاركة ،أن يجد له شريك مقابل مبلغ مقطوع كعمولة .

وجيه لم يتردد لأنه كان بأمس الحاجة للمال ،وتم لهما ما أرادا .

كان المبلغ المقدم للشراكة ،يعادل قيمة تكلفة المحل فكرة جيدة، ومربحه ولا يشوبها شائبه .

وتطور إلى أن افتتح محل آخر مستفيدا من مبدأ الشراكة الذي يكلفه صفر ولكنه ينفق أموال ،لإرضاء نفسه وعائلته وحبيبته وإرضاء المجتمع الذي يعدُ عليه أنفاسه .

افتتح المعرض الثالث ،بنفس مبدأ الشراكة لكن مع شخص آخر، ومعرض رابع تحت التنفيذ ،لكنه فقد السيطرة من ناحية الإدارة .

أصبحت (دعد) تملأ عليه حياته لدرجة أنه كان يلغي اجتماعاته ولقاءاته لكي يبقى بقربها ،أخذ يساعدها في عملها ويدعمها لدرجة أنه نسي أن يدعم نفسه .

قام بعملية مشبوهة بالاشتراك مع زوجها د.سمور ليبقيها أكبر وقت بقربه .

كانت (دعد) تقدم له السعادة على طبق من عسل.

وما هي إلا عام من الزمن حتى بدأ العد التنازلي.

لم يعد وجيه قادرا على السداد بالتزاماته من قروض للبيت والسيارات والمحلات والتزامات الإيجار والعمال، وأرباح المرابين أمثال (عناد) وغيره والسفر والسهر ،والادعاء لنفسه أنه بحاجة للسفر ،كان السفر هروبا خاصة بعد أن فضح أمر الصفقة المشبوهة.

أصبح مطالبا ومطلوباً قضائياً ومطارداً من ضحاياه.

تنقل بين مصر ودبي واستطاع خلال وقت وجيز أن يوقع ببعض الطامعين بالربح السريع واستعان بالمحامي(عناد) وصديقه (شاهر) لإتمام الصفقة المدعوة المشبوهة،وكان لكل منهم مأربه .

(عناد) يريد استرداد أمواله أو أموال مستثمريه مع النسبة الربحية العالية.

مع أنه كان يعرف أن صديقه وجيه لم يربح ،وأنه على حافة الهاوية ولكنه لم يرحمه ،بل إنه هاجمه بضراوة عندما وقع في شباكه وكأنه ينتظر الفرصه (عناد) رسم صورة لوجيه، أما وجيه فقد ساعده على رسمها ،لكن الصورة وقعت عن حائط (عناد) ،فَحَمَلَ مسؤولية الانكسارها لوجيه وحده .

(شاهر) كان يطمع بالشراكة مع أنه هو صاحب القرار بفسخها ،ولما رأى وجيه واقع في مشاكله انسحب مع مبلغ كبير من الربح،تاركا صديقه ورفيقه في الرمال.

وفي خضم المطالبات والمحاكمات كان وجيه خارج البلاد إلى أن حصل ما لم يتخيل ما لا يستطيع أن يصدق ،لقد ماتت أمه ......

(الحاجة أسماء)

الصدمة ،الموت ،نهاية الأمل وبداية عصر جديد يخلوان من الحنان والعطف والدعاء .

لقد أدرك أن انتهاء دعاء أمه ورضاها عنه هو البداية الحقيقية للشقاء وفقدان الهالة غير المرئية لكنها تحميه ،من نفسه أولاً.

عاد إلى الأردن حزينا منكسرا ،ودعها وبكى .

بكى على كل شيء منذ البداية حتى النهاية .

كان يعلم أن عودته ليراها مسجاة في القبر مخاطرة كبيرة بحريته،ولكنه عاد غير أبه بما سيحصل.

بكى وكأنه يعترف بأخطائه الجسيمة ،أمام جسدها الطاهر،وكأن البكاء لغة تفهمها روحها .

يعترف لها ببكائه أنه فشلَ.

كأنه يستجدي رضاها حتى وهي ميتة،ورضت عنه حتى في موتها،لقد شعر بروحها تربت كتفه وتمسح دمعه ،وترضى عنه كما هو بفشله وضعفه وسوءاته .

وما هي إلا أيام ثلاث حتى أصبح وجيه خلف القضبان .

*** *** *** ***

العقاب

العقاب

السجن بالنسبة للإنسان مكان تجتمع فيه الخطيئة والرذيلة ،الخروج عن النظام.

السجن مملكة الشيطان ،وأحد صروح حضارته وانتصاراته على البشر، أو أنه المكان الذي يعاقب فيه الخارجين عن القانون ،قانون الدولة وشرائعها التي مهما اختلف تصنيف الدولة من عالم أول أو ثالث أو عاشر إن وجد.

فإنه لا يختلف عن شريعة وقانون حامورابي إلا أن بعض الحضارات أضافوا تحسينات جمالية عليه ،فكان السجن للبعض هو ذاته العقاب وإبعاد أذى الإنسان الخارج عن القانون عن المجتمع لغاية حماية المجتمع من شروره، وهناك تتهذب نفسه بعد أن يسلب حريته لبعض الوقت ،فيسمى مركز إصلاح وتأهيل .

المراد من السجن هو معاقبة من خرق القانون وحبس جسده ،ليخرج إلى المجتمع.

إنسان كان به عطل أو خطأ فني ومصنعي، لكن تم إصلاحه وإعادة بنائه، وها هو الآن جاهز للانخراط في المجتمع النظيف من جديد.

أما السجين السابق فإنه يبقى وصمة عار في جبينه،كأن وشما أضيف إلى جسده ليميزه عن باقي أبناء المجتمع الصالحين.

يوضع بجانب اسمه على البطاقة وجواز السفر وصف لجريمته.

كان فكرة السجن بالنسبة لوجيه ،النهاية ، ،نهاية النجاح والكبرياء والشموخ .

لحظة القبض عليه شعر بان كل شيء في داخله يتكسر ،لوح من زجاج أصابته رصاصه فتبعثرت أجزاؤه ،رجفة داخلية لا يشعرها غيره،ليست رجفة الخوف أو البرد ،كأنها خروج الروح .

ما أن ركب السيارة مع رجال الأمن حتى بدأ هذا الشعور بالتغير، دارت بينهم أحاديث .

في البداية كانت أسئلة وأجوبة ،وتطور الحديث بينهم إلى أن أصبح يتفرع لعدة نواح وأغلبها تلميحات عن الحاجة المادية .

تناول وجيه مبلغ من المال وأعطاه لرجل الأمن على استحياء وقليل من الخوف من أن يرفض. لكن ردة الفعل كانت ممتازة ،فبدى رجل الأمن ورفاقه مثل الخدم لوجيه،ولكن تحت غطاء القانون ،أشعل سيجاره فبدأت الرجفة تهتف .

أيقن وجيه أن سجنه لن يكون كما تصور وبدأت الرهبة والخوف بالتلاشي حتى ذهبت .

كان يدفع بسخاء لسجانه ابتداء من الأصغر حتى الأكبر .

وما أن دخل السجن حتى سرت الإشاعة كالنار بالهشيم بين رجال الأمن حتى وصلت المقربين من السجناء بان وجيه سجين مليء وسخي.

كانت خدمات خمسة نجوم متوفرة بالنسبة لسجين .

أغدق بالعطاء ،وأدرك أنه لا يوجد اختلاف بين سجانه وبين رفاقه المساجين.

لا فرق بين أكبرهم حكما كسجين ومجرم،وبين أكبرهم رتبة على الكتف كسجان، بل إن بينهم الكثير من أوجه الشبه.

خمسون يوما قضاها وجيه في السجن ،ورغم توفر كل أسباب الراحة والحماية والاحترام له.

إلا أنه لم يكن باستطاعته أن يتنفس كما يتنفس عادتا شهيق وزفير،كان يختلف الشعور.

كان سجنه داخل نفسه وروحه وليس داخل الأسوار العالية،والحراس والأسلاك الشائكه .

لم يكن ينام من هول الصدمة فهو لا يكاد يصدق ما يحدث،بالأمس القريب كان على قمة هرمه ،والآن هو سجين يعاقب مثل القتلة والمغتصبين واللوطيين وتجار الحشيش،هكذا كان يعتقد.

. .

بعد الاختلاط بين السجناء ،لاحظ أن الغالبية العظمى سجناء مادة، سجناء مال .!!!

منهم من استدان من مربين لكي يعيلوا عائلاتهم بعمل يكفيه سؤال الناس ،لكن الربح لم يكن ليغطي أرباح المرابي فأصبح سجين مذنبا !!

منهم من اشتكت عليه زوجته التي تقطن معه في نفس المنزل بنفقة مالية مستعينا بعشيقها رجل القانون ،فأصبح سجينا مذنبا !!

منهم من قتل في سبيل المال أو الخيانة أو الذود عن الشرف ،ومنهم من خدع واحتال في سبيل المال ،ومنهم من لم يقتل أحدا لكنه مسجون على سبيل التحفظ،وضغط أصحاب القرار.

تحديدا سجين بالسبعين من العمر،له من الأبناء خمسه ،أحد أبنائه كان على خلاف مع أحد أبناء عشيرته ،وأثناء سيره بالطريق الوحيد الذي يمر بالبلدة ،وإذا بابن عشيرته ينهال عليه ضرباً .

دافع عن نفسه بقبضته العزلاء،فمات من كان المعتدي.

وما هي إلا دقائق حتى اجتمع أهل القتيل الذين يفوقون عدد أهل القاتل بأضعاف .

هجموا على بيوت الرجل السبعيني وأبنائه.

أتت الشرطة وألقت القبض على القاتل البريء وأشقائه ووالده الذين لم يكونوا بمكان الحادثة .

أما أهل القتيل المعتدي فقد قاموا بحرق بيـوت المقبـوض عليهم وقتـل مواشيهم كجزء من الانتقام ونوع من إثبات قوتهم لباقي العشائر.

كان قد مضى على سجنه قرابة العام هو وأبنائه الخمسة،حتى القاضي والسجان كان يشفق عليهم،ويعرف من الظالم والمظلوم.

لكن ليس باليد حيله ،لأن قانون الغـاب فـوق القـانون الإنسـاني ،لأن النصر للأقوى والأقرب من السلطة.

قصة سجين ،وفي السجن قصص لا تحصى .....!!

تحكي عن الظلم حتى اختلط الأمر،فلم يعد الإنسان قادرا على التمييـز بين الظالم والمظلوم.

ولم يستطع المشرع الى ذلك سبيلاً أيضاً .

خـلال مـدة توقيـف وجيـه، تلـك المـدة القصـيرة في نظـر الـبعض. خمسون يوما،ولكنها كانت العمر كله بالنسبة لوجيـه ،لم يسـتطع أن يترك إنسانيته خارج أسوار السجن كما قيل له .

قام بدفع مستحقات مالية كثيره بنظر السجناء لكنها كانت قليلة بنظر وجيه وحرر أشخاص من سجنهم،بالقليل من المال لا تتجاوز بضع الاف من الدولارت .

كان البعض منهم يبدون الندم على سبب سجنهم ويقولون الشيطان شاطر.

خرج وجيه بنظرية جديده ،عن مجتمع السجن أن كل مسجون حكم عليه ما هو إلا ضحية المادة بأنواعها.

وكل سجان ورجل قانون لا يختلفون أيضا فهم هناك في سبيل المادة .

تعلم الكثير في السجن ،خمسون يوما من الدروس اليومية الكثيرة وتبادل الخبرات عن سبل الاحتيال ،والتزوير وغيرها من مهن تتعلق بالمادة وسبل تحقيقها واللهاث خلفها .

كان الرجل يدخل السجين بتهمة سرقة هاتف خلوي لا يتجاوز ثمنه، ثمن ثلاثة كيلوغرامات من اللحم .

يقضي عقوبته ويخرج ليمتهن تزوير سند ملكية بيت يساوي مئات الألوف، مستعينا ببعض زملائه السجناء أصبح السجن معهدا يتخرج منه المجرم بنظر القانون ،ويحمل من الشهادات والخبرات ما تكفيه ليصبح مجرما بحق نفسه وذاته.

أما أصحاب الشيطان ،من يقولون إن الشيطان شاطر،ويلسقون به أخطاء الماده والحاجه.

من هو الشيطان ؟! أين يسكن؟ ! كيف يبدو؟ !

هل هو تلك الأنثى الجميلة التي تثيرك وتجتذبك وتغويك بخبث جسدها!؟

وأنت لا تملك من المال ما تدفعه ثمن لمضاجعتها،أو من المال ما يكفيك خطيئة الزنى لتتزوج وترضي غرائزك المكبوتة ؟!

أو أنه كان يقف تحت المنزل ليدل السارق على مكان النافذة المفتوحة؟!

أم أنه كان يجالسك وأنت تزور العملة ويذهب عوضا عنك لجلب بعض الحبر والأختام لكي تكمل ما كنت بدأت من عمل خارج عن القانون؟!

أو أن الشيطان هو حاجات الإنسان وغرائزه مجتمعه أو فرادى؟!

ربما كان الشيطان صفة لكل ما يتعارض مع القوانين والشرائع التي نصها وكتبها ابن جنسك وأول جد لك .

الإنسان المشرع،لكن وصفه تعدى حقيقته ،فأصبح الشيطان شخص وروح وربما جسد يأكل من طعامنا إذا لم يكن طعامنا من خزائن المشرع ورضاه.

وينام بيننا وبين نسائنا ،إذا بدر منا ما يكدر صفو المشرع .

الشيطان أصبح علاقة أخطائنا وذنوبنا .

هل الشيطان حقيقة أم أنه البعبع الذي يغضب المشرع ، هل الشيطان غرائزنا !!!

غرائز أجدادنا وأبينا قابيل ، الذي عفا الخالق عز وجل عنه ،

لو أراد الخالق إنسان بـلا غرائـز لفعـل ،ولكـان جـرم قابيـل وحاكمـه واقتص منه ،

وجرم حواء على طمعها واقتص منها أيضا ،وأبـدل أدم بحـواء أخـرى منزوعة الغرائز،وأكثر جمالاً .

حواء أخرى خاليتاً من الشوائب والأخطاء.

لا تطمـع بتفاحـة ليسـت لهـا ،ولا تسـد جـزء مـن جوعهـا ونهمهـا وفضولها الغريزي .

ربما حينها توحدت جيناتنا الوراثيـة علـى الفضيلة فقـط كمـا يحـب المشرع وكما يراها فضيلة من وجهة نظره .

لكن للخلق حكمه .

لقد تم تشويه الإنسان بالقوانين ،منذ بدأ التاريخ إلى أن وصـل لإباحـة التشوه والخروج عن المألوف في طبيعة الإنسان .

حتى وصلنا إلى زمننا ،الذي أصبح فيه المشرع والحاكم والقاضي والقائد يخـرج ليرضـي حشـود مـن مثلـي الجـنس مـن للـوطيين وسـحاقيات

وليكسـب أصـواتهم وينـال شـرف رضـاهم ،ويستعيذ بإلهـه مـن شـر الشيطان كي لا يغضبهم .

أو يسيء لهم ،ويحـاكم كـل مـن نظـر لهـم نظـرة استهجان ،فيحـاكم بتهمة التمييز .

هل يوجـد مـن الحيوانـات مـثلا أسـد أو فـأر للـوطي! قطـة أو حربـاء سحاقية!!!

أليس هذا بعض ما أوصلنا له المشرع بشرائعه الوضعيه لنسمو عن باقي المخلوقات !!

إلى أن وصلنا، لأقل مما يحظى به الحيوان من حرية وشرف وأدميه!

من الذي أوصل الإنسان ليصبح سارق، سجين لأنـه سـرق مـا يأكلـه،أو يلبسه أو أي شيء يلبي نداء الغريزة،أو انه ربما سرق ما هو من حقـه كإنسان.

حقه الذي انتزع منه وأعاد المشرع توزيعه علـى خاصته مـن النـاس ، العشيره ،القبيله ،البلد ،الأقوى .

من يوافقوه الرأي ويشدوا على يده .

من منحهم شرف تقبيل يده وحرمها على الاخرين.

وجيه.. يقف أمـام الانكسـار وجـه بوجـه ،يقابلـه ويتقبلـه بسـوآته وقسوته،بجرحه ودوائه ويقبل الحقيقة ،حقيقة نفسه.

يتسلل الحزن إلى نفسه ،مثل نسمات قاتمة اللون محملة بغبار الفشل، فيختزل في صدره ما يبقيه حيا ليبحث في ساحات نفسه عن الإرادة .

كان يحتاج إلى من يمد له يدا ،لكن أي يد ينتظر ؟؟!!

إنها الساعة التي يعود بها الطائر إلى عشه والرجل إلى ظهر أبيه الذي أتى منه ،أو إلى صدر أمه التي أسقته الحنان والعاطفة .

أثناء سجنه كانت (دعد) قد تطلقت من زوجها (د.سمور)،وكانت تحلم بلحظة خروجه من السجن لتزف له الخبر الذي ربما يثلج صدره.

كان طلاقها نوعا من الدعم المعنوي لوجيه من وجهة نظرها،كأن لسان حالها يقول له : لم أحاول التحرر من زواجي وأنت في أعلى قمة هرمك ،والآن أتحرر باختياري لأنك تحتاجني بجانبك وأنت في أسفل الهرم.

. .

وجيه ليس كعادته في شموخه وكبريائه ،كان عندما يتمشى في (المول) يشعر أن كل من حوله يسترق النظر إليه كالعادة ولكن هذه المرة تختلف النظرات وطريقة التحية.

لقد أصبح مكشوفا أمام الكثيرين ،لم يعد قـادرا علـى إقنـاع أحـد لأنـه فشل.

والفشل يبدأ أول ما يبدأ بالثقة بالنفس فيثقبهـا ،حتـى يصـبح الفشـل حفرة ظاهرة إلى ناظره ،لكم تمنى ألا يذكر اسمه لأنه أصبح خجلاً منه بعد أن كان كالعلم في سماء الأعمال .

. .

بعد أن كان كالنجم في سماءالمجتمعات المخملية أصبح يشعر أن الزيف يغلفه وأن العتمة تملؤه .

إن النسمات محملة بغبار فشله وتقبض على أنفاسه.

إنـه شعور الإنكسار.

الإنكسار

الانكسار.....

إن الانكسار أمام علو الذات وأنفتها وكبريائها وغرورها ،هو الانكسار الحقيقي.

أما الخسارة المادية التي يسميها البعض انكسارا ،ما هي إلا جزء يسير من الحقيقة.

ولا يساوي شيء إذا ما قورن بمشاعر النفس البشرية أمام انكسار الذات وفقدان الثقة والأنفة ،والكبرياء .

تلك الصفات التي تجدها بالإنسان مع اختلاف مستواه الاجتماعي والمادي .

ليس صحيحا أن العامل الذي يجمع قوت يومه بعرقه وجهده وبساطته يشعر بالانكسار والعجز،وهو يرى حوله من يعلونه شأناً،

اجتماعيا وماديا وحتى تعليميا،بل إنه يتفوق على أكثرهم بكبريائه وثقته بنفسه.

ربما يختلف التعبير عن الذات من شخص لآخر ،أو أن اختلاف المقاييس من وجهة نظر المشرع جعلت هناك اختلاف في وصف الأنفة والكبرياء والثقة .

لهذا نجد الإنسان المتلئ ماديا واجتماعيا ،يترجم الصفات حسب وضعه فتصبح الأنفة غرورا ،والكبرياء تكبر ،والثقة بالنفس تعاليا على من هم دون مستواه المادي المزيف.

مهما اختلف أو تشابه تعريف المادة ،فهي المال،أو المستوى التعليمي أو الثقافي .

أو على المستوى الاجتماعي كالانحدار من عائلة مميزة أو عشيرة قوية أو حتى بلد متقدم .

مع أن الشخص الكادح الفقير وربما الجاهل ،إذا اعتمدنا أسس الجهل والعلم المتعارف عليهم مما فرضه القانون على الإنسان ،يختلف تعريفه للكبرياء بالتمسك بحقه المشروع بعدم تقبل الإهانة له ولأفراد عائلته الصغيرة البسيطه.

والأنفة والعزة يترجمها فتصبح بساطة التعامل مع الآخر ومتطلبات الحياة المادية وتقبل وضعه واحترام نفسه لنفسه.

والثقة بالنفس تنبع من ثقته بجسده أو بعقله أو بحرفته التي تجلب له قوت يومه .

غالبا لا يجد الانكسار طريقه إليهم ،من يصفهم الناس بالأقل حظاً .

دائماً وليس أبداً يجد الإنكسار طريقه إلى من أساء تعريف الصفات وترجمته،كما فعل المشرع .

الانكسار بوجهة نظرهم ،زوال المادة،التي بنيت شخصيتهم على وجودها بأنواعها وأهمها المال والسلطة .

الانكسار أن ترى بأم عينك مستواك الحقيقي ،عندما تذهب المادة بزيفها.

عندما يضطر الإنسان للتنازل عما غلف كبريائه من تكبر فيصبح التواضع انكسارا.

عندما تصبح الثقة بالذات بين أقدام الإنسان ،فلا تعلو لتصل تفكيره وداخله .

والأنفة تصبح آفة يحاول دفنها بيديه لكي يتأقلم مع عالمه الجديد .

الانكسار جـرح عميـق في دواخـل الـنفس البشـرية وأعماقهـا ،ولكنـه جرح.. ولكل جرح دواء ،لكل جرح أناس وطرق، يساعدون في التئامـه والتسامي فوق ألمه .

الإنكسار جرح يشبه جرح الوجه الظاهر ،فـإذا كـان الطبيـب متمرسـا وخبيراً ومجملاً ودقيق .

تختفي أثار الجرح .

ولكن الجرح في الـنفس ،جـرح غـير ظـاهر لا يصـل إليـه طبيـب ،بـل يتحتم على الإنسان أن يكون طبيب ذاتـه فيجملـه ، ويشـفيه بإرادتـه الدفينة ،التي سلبها المشرع وقيدها منذ الأزل .

الإرادة هي هدية الخـالق للإنسـان، الهديـة المدفونـة مثـل جـوهرة في ساحة النفس بين جدران الغرائز ،هي ذاتها الدواء لكل جرح في جسد الروح ، الإرادة هي الطبيب المداوي .

الانكسار جـرح .... ولكـل جـرح دواء،الانكسـار لا يعـني النهايـة !
وربما كان بداية لمفاهيم جديده ،المفاهيم السليمة التي تخلـو مـن عفـن
الحياة... الغرور والتكبر والتعالي والأقنعة الزائفة .

الانكسار هو انكسار المادة لكنه انتصار الإنسان إذا بحث بنفسه فوجد
الإرادة.

لقد أدرك وجيه أن الوقت ملائم لكي يبحـث عـن الاراده المدفونـة بـين
غرائزه والشرائع التي كانت السبب لانكساره وتقهقره .

الغرائز

الغرائز ...

اسم لوصفها ،فهي الغريزة التي يـأتي وصـفها ترجمـة لمعناهـا ،غـرز الشجرة أو غرز الوتد أي زرع أو أصل الشيء فأصل الشجرة غرز الشتلة وغرز أوتاد الخيمة هو أصل الخيمة .

لو استوت الأوتاد وغـرزت بأماكنهـا وبطريقـة سليمه لكانـت سـارية الخيمة التي ترفعها وتقيمها .

إذا غرائز الإنسان هي ذاتهـا أوتـاده،فـإذا كـان الوتـد معوجـا أو غـير مغروز بطريقة صحيحه لأصبحت الخيمة معوجتاً أو ضعيفة .

لتصبح الخيمة في مهب الريح وتنهدم.

الغرائز هي قوائم الوجود الإنساني ،أي أنها أساس المجتمعـات ،لأن الإنسان أو الفرد هو جزء من أساس المجتمع .

إذا ما أراد الإنسـان وضـع شـريعته الخاصـة الـتي تحـرره مـن أخطـاء الشرائع الجماعية التي جعلته نكـره فأصبح مجتمعـه نكـره حتـى أن

الجنس البشري جميعا اقترب من أن يصبح نكره لكثرة أمراض الغرائز التي لم ينظر لها المشرع ولم يعالجها.

لأنه لا يفهمها أو لأنه فهمها فجعلها جريمة وعاقب عليها الظاهر منها وليس الخفي.

لم يستطع المشرع أن يرى الخطر المحدق بالإنسان ،لأنه إنسان له نفس الغرائز وربما أكثرها معوجة لديه .

ربما لو أن القوانين أخذت بعين الاعتبار أن الغريزة أصل من أصول الإنسان الذي يحويها وأن ليس له يد بصنعها لما جرمتها وأطلقت عليها الأحكام .

أما العلاج :فهو بيد الإنسان ذاته أي الفرد، طبعا إذا أراد ذلك ،إذا ما تسامى فوق القانون وشرائعه ووجد قانون لنفسه ،قانون أخلاقي مع نفسه مع ذاته أولاً .

ربما يقول الإنسان منطلقا من تجاربه الإنسانية ،أن لا أخلاق أو أن ما يضع الأخلاق هو المشرع والقانون .

والتعـدي علـى وظيفـة المشـرع يعتـبر انتهاكـا أو انقلابـا علـى ساسـة المجتمع القديم والجديد.

لكن ليس هناك جريمة أو انتهاك لسلطة المشرع ،لأن ما نتكلم عنه هو قانون بين الإنسان وذاته ربما يكون انقلاب داخلي لا يضـر المشـرع ولا يؤذي أي فرد من المجتمع .

لماذا نبتعد عن الغريـزة ،أو نلغـي مفهـوم حـديث الـنفس مـع الـنفس الموجود بكل إنسان ؟

من منا لا يتحدث مع ذاته يوميا أو حتى على مدار السـاعة ،حتـى لـو كان بين حشود من الناس في العمل أو البيت وأثنـاء حديثـه مـع أبنـاء عائلته ،ترى أنك تـتكلم مـع نفسـك مـن غـير لسـان،فيتخيـل ويرسـم

ويصرخ ويذهب ويسافر ويهاجر ويتمنى من غير أن يلفت انتباه أحد ممن يجالسونه !!
إذا اعترفنا بذلك ولا أحد ينكر ذلك الحديث السري أو الأفكار الدفينة التي لا يبوح بها الإنسان حتى لنفسه.

إن حديث النفس مع ذاتها بداية العلاج لأي اعوجاج لأركان خيمته أي نفسه إذا أراد ذلك .

إذا ما رجع الإنسان إلى طفولته التي يذكرها ،ولنجعلها ستة أعوام كمتوسط حساب بالنسبة للإنسان .
تحسس ذاته وغاص في أعماقها ونظر بتفحص للمواقف التي مرت به وتركت أثرا في نفسه لدرجة أنه يذكرها جيدا ،رغم كل السنوات التي مرت به ، ويقبل تحليل الآخرين لها بأنها جهل الطفولة أو برائتها ويقنع ذاته أنها كذلك .

لكن إذا ما استذكر تطور الغريزة لديـه ، أو المواقـف المذكورة ،فإنـه يجد أنها تطورت مع تقدمـه بـالعمر فـيرى أن ذات الموقـف قـد تطـور وكبر مع تطوره وتقدمه بالسن والتجارب .

والأمثلة كثيره :عن الطفل ذكر كان أم أنثى .

الطفل الذي يتحسس صدر أمه أثناء نومه لدرجة أن إبعاد يـده يفزعـه ويوقظه باكيا.

تحليلـها أن الغريـزة الجنسية لديـه تطغـى علـى بـاقي الغرائـز ممـا يجعلها قوية ويطوع باقي الغرائز الأخرى لخدمتها وتلبية رغباتها .

طفل آخر يخفي ألعابه عن أعين من حولـه ويبـذل جهـداً لـذلك وربمـا ينسى أين أخفاها .

تكون غريزة الخداع.

ويطوع جميع غرائـزه لتقويتهـا ،ويتطـور إلى أن يصـبح مخادعـا ممـا يجعله قابلا أن يستعين ببعض المكتسبات من مجتمعه مثل الكذب.

طفل يذكر أنه كان يتحكم بالأطفال في مثل سنه لأنه يستطيع أن يريهم ما لا يرون من أسرار لعبة ما أو مكان خفي في المنزل ،فيفتح لهم أفـاق جديدة ما كانوا ليلمسوها لولا وجوده..........

إنها غريزة القيادة .

فيطوع باقي غرائزه لخدمتها وإعلاء شأنها ،ويكتسب من مجتمعـه مـا يقويهـا مثـل قـوة الجسـد أو البحـث والتفكـر وإخفـاء مكتشفاته عـن الآخرين لحين الحاجة .

طفل لا تكفيه ألعابه فتجـده يفـرض علـى مـن حولـه باسـتملاك لعبـة أخرى من طفل آخر ويجبرهم ببكائه. فتكون غريزة الطمع هي الأقوى ويطوع باقي غرائزه لخدمتها وتلبية حاجاتها .

وهذا الطفل الذي تطغى غريزة العاطفة عن باقي الغرائز فتجده يحتـاج للتواصل من خلال الأعين مع أمه ومرضعته ،وتتطور حاجته للتواصل فتتطور الأساليب لإرضاء وتقوية تلك الغريزة.

الأمثلة كثيره ،ولكن يتحتم على الإنسان أن يصدق مع نفسه ويجد الغريزة أو الغرائز المعوجة فيه .

إذا وجدها وسيجدها واضحتا أمامه خفية على غيره ،عندها يبدأ علاج النفس بالنفس .

أولاً يجب أنِ يحرر باقي الغرائز، كل في اتجاهه الصحيح ،ويوقف هيمنته عليها .

إن يقتنع أن غريزته المعوجة حالة شاذة ،أو أنها إدمان ويجب عليه أن يتداوى بترياق نفسه وبالإرادة القابعة في ذاته فيعالجها .

إن المشرع والنظام قد حاسب وحاكم الغريزة وليس الإنسان ،بل إن الإنسان كان ولا يزال ضحية لغريزته من جهة ولسوء فهم المشرع من جهة أخرى .

مع أن المشرع لم يجد في شريعته الجوفاء ،حكما يناسب بعض الغرائز ولن يستطيع أن يجرمها مع أنها من أهم أمراض المجتمع. وهناك الكثير مما يثبت خطأ الشرائع التي تقيد الإنسان فقط لأجل السيطرة والسطوة.

هل يستطيع المشرع مثلا أن يجرم من يستعمل كل غرائزه من خداع وطمع وعاطفة وقياده، فيسيسها لتصبح خادمة لغريزته الجنسية. ربما أن الغريزة الجنسية ليست بالضرورة قوة أو طاقة جنسيه فائضه. ما هي إلا غريزة لها متطلباتها التي تفوق متطلبات أي إنسان آخر .

*** *** ***

كان وجيه يهوى التحدي مع النساء،خاصة إذا كانت مرتبطة بـزوج أو صديق .

كان يستعمل كل قواه الغرائزية لاجتذابها ،فيفسـد زواجهـا أو يفـرق بينها وبين عشيقها .

وكلما كان التحدي أصعب كان بالنسبة لوجيه تحـدي أقـوى فيسـتخدم سحره.

كلامه المنمق بحشرجة صوته الدافئ إذا أراد،فيلمس جـزء خطـير مـن داخل المرأة.

في بعض الأحيان كـان يواجـه صعوبة مـع إحـداهن فيلجـأ إلى غريـزة أخرى ، الخداع الاجتماعي الممزوج بالعاطفة .

دائما كان ينتصر ليشبع رغبة جنسية دفينة ، تنتهـي بمجـرد شـبعه الجنسي منها فإذا كانت جميلة ،كان يتركها بعد أسبوع وكان يقنعهـا بأنها كانت غلطه ويُحمِل نفسه المسؤولية ،فتتركه عـن قناعـة ورضـى وتتحمل مسؤولية خسارتها لزواجها أو لعشيقها .

وتتراوح المدد بين أسبوع ويمكن أن تصل لأشهر ليشبع نهمه .

في البداية كانت تجاربه تدور أحداثها وشخصياتها من داخل مجتمعه (الأردن)

أول تجربة لوجيه مع الغربة كانت رومانيا ،سافر إليها وهو في الثالثة والعشرين من العمر.

لم يكن يعلم اتجاهه لا في العمل ولا أين سوف يسكن ولم يكن يتحصن بالمال فقد كان لا يحمل في جيبه ما يزيد عن مائتي دولار ، بالنسبة له كانت التجربة متعه ، برغم المسؤوليات ، التي تثقل كاهله ، بيت وزوجة وكان أب أيضاً .

أول ما قابل في الطائرة شخص يجلس بجانبه اسمه (عبدو) ،تحادثوا وتم التعارف بينهما حتى أصبحت العلاقة بينهما أكثر من صحبة سفر، كان اختبار لقدرات وجيه على الاندماج مع الآخر والتأقلم مع مناخات المجتمعات الأخرى الموجودة خارج وطنه .

نجح لدرجة أن الشخص الذي يشاركه مقعد الطائرة (عبدو) أحبه ، ولما عرف أن وجيه ليس له أحد في تلك الدولة الأوروبية وأنه يسافر للمرة الأولى وعرف أن لا مأوى له وأنه سوف يبحث عن فندق رخيص. قام بدعوته للمكوث معه عند صديق له ينتظره في مطار (بوخاريست). وما أن وصلا إلى المطار وكان شخص اسمه (عريب) بالانتظار. قام بعناق (عبدو) ووجيه ،لم يسأل من الشخص الآخر (وجيه) لان كان بينه وبين (عبدو) علاقة عمل ذهبوا إلى منزله وبعد أن استراحوا من تعب السفر .

اقترح (عريب) أن يدعوهم للخروج في نزهة إلى بحيرة تبعد عن العاصمة (بوخاريست) حوالي عشرين كيلومتر (بحيرة سناجوف)، ولما تسائل (عبدو) ووجيه عن وسيلة النقل ،أجاب عريب أن عشيقتي تملك سيارة وسوف تأتي بالحال لتقلنا.

... ما هي إلا دقائق وإذ بفتاتين تدخلان إلى المنزل .

إحداهن تبدو في منتصف العشرينيات من العمر أما الأخرى فقد كانت لا تتجاوز التاسعة عشر من العمر .

لقد أعجب بها وجيه من النظرة الأولى وشعر بنوع من التحدي مع نفسه أولاً.

وجيه يسترق النظر بحذر وكأنه وجد فريسته .

توجهوا إلى السيارة فجلس عريب في المقدمة بجانب السائقة وكانت الأكبر سنا ،أما وجيه و(عبدو) فجلسوا بالمقعد الخلفي وتوسطت المقعد الفتاة الأصغر سنا ،وكانت أجمل ما رأى أو لمس وجيه في حياته . طالبة تدرس في الجامعة .

اعتقد الجميع أن السائقة عشيقة (عريب) مما أتاحت الفرصة إلى وجيه أن ينقض على فريسته بدون أن يجرح أو يغضب مشاعر أحد.

الحقيقة أن وجيه اكتشف منذ البداية أن (عريب) ليس بحالة رضا ولكنه تجاهل شعوره .

وما هي إلا سويعات قليله حتى أصبحت الفتاة الشابة تتمرغ بأحضان وجيه وخاصة أنها طلبت منه أن يعلمها السباحة ،وهذا أقصى ما يمكن أن يتمناه وجيه في تلك اللحظة أو التجربة الجديدة .

علمها السباحة بعد أن ترك لأصابعه وجسده العنان ،وخاصة أنه لم يجد ممانعة منها بل كانت ترد على كل لمسة بابتسامة رضى.
كان الجمع يبدو عليهم الامتعاض بعكس وجيه و(مادولينا) هذا كان اسم الفتاة.

ركب الجميع السيارة عائدين إلى المنزل فسألته الفتاة أين يسكن،أجابها وجيه عند (عريب).
وقال لها إنه يريد أن يبحث لنفسه عن مكان آخر ليسكن به.

أجابته بأنها تعرف سيدة تؤجر الشباب غرفة في منزلها بتكلفة لا تزيد عن دولارين في اليوم.

وافقت أن تصطحبه إلى منزلها فورا تلبية لرغبة وجيه بالانتقال ،لقد اعتبرها فرصة جيده.

طلبت من أختها التي تقود السيارة باللغة (الرومانية).طلباً أثار نظرة استغراب على وجهها ، استطاع وجيه أن يميزها أنها نظرة غضب من خلال المرآة.

نقاش حاد دار بين (مادولينا) وأختها باللغة (الرومانية) التي لا يفقهها أحد من باقي الركاب،ولكن سرعان ما ترجمت إلى (عريب) طلب (مادولينا) وهو أن توصلها ووجيه إلى منزل (السيده ميتا).

التفت (عريب) وسأل وجيه ،حقا تريد أن ترحل من منزلي، متسائلاً؟!

أجابه نعم وبعد إذنك لأنه آجلا أم عاجلا سوف أبحث لنفسي عن مكان فأنا لا أريد إزعاجك.

صمت ووجوم ساد الطريق حتى وصلوا إلى بيت (السيده ميتا) التي كانت بالسبعين من العمر وتسكن وحدها مع كلبها الصغير،بيتها مؤلف من غرفتي للنوم وصالة بالإضافة للمطبخ والحمام .

رافقته (مادولينا) إلى المنزل الذي يقع في الطابق الأول ،وما هي إلا كلمات حتى أصبح وجيه له مكانه الخاص.

كان الجميع في السيارة ينتظرون نزول (مادولينا) ،إلا أنها أخبرت أختها من خلال النافذة المطلة على مكان انتظارها أن تذهب،، أخبرتها ألا ينتظروها لأنها ستبقى مع وجيه .

في البداية لم يفهم وجيه الكثير مما دار بينهم ،إلا أنه شعر بتوتر كل من في السيارة وخاصة أنها غـادرت مسـرعة تاركتـا خلفهـا كتلـة مـن الغبار المـزوج برائحـة إطـارات السيارة المحترقـة بفعـل الاحتكـاك والسرعة.

قضى وجيه ليلته الأولى في رومانيا وبـين أحضـانه هديـة الحـظ، فتـاة جميلة جداً ، اكتشف بعدها بفـترة أنهـا مـن أجمـل فتيـات رومانيـا. في صباح اليوم التالي تسللت من فراشه وارتدت ملابسـها وغـادرت إلى الجامعة .

استفاق وجيه على قرع الباب بعد أن تناهى إلى مسمعه صوت جـرس الباب الرئيسي.

فتح الباب ليجد (عبدو) يحمل حقيبة وجيه ،لاقاه وجيه بكل سـعادة الصباح المعطر ببقايا رائحـة جسـد (مادولينـا) علـى جسـده وتفاصـيل غرفة النوم.

رفض (عبدو) الجلوس ودعوة وجيه له لكوب شاي،وكانت الابتسامة معدومة عن وجهه !!!

وجيه: ما بك لا أشعر أنك بخير أم أنني قد بدر مني ما يغضبك؟

(عبدو): لماذا يا وجيه خطفتها منه ؟

وجيه :ماذا تعني خطفتها ؟ ومن هي التي خطفتها ؟؟

(عبدو): عشيقة مضيفنا (عريب) أعني(مادولينا).

على أي حال يجب أن اذهب فهو بانتظاري في السيارة أسفل البناية.

وجيه يجيب مصدوما ،ماذا تقول أليست أختها عشيقته ؟

يجيب (عبدو) :

لا يا رجل أنها (مادولينا) ولكنني دافعت عنك ووجدت لك العذر لأني اعتقدت أيضا بنفس ما فهمت أنت ولم يوضح أحد لنا شيئا، وأتمنى منك أن تعتذر منه لكي أحتفظ بماء وجهي أمامه ،فأنا من أدخلتك منزله .

نزل وجيه مسرعا باتجاه (عريب) ،فترجل من السيارة مستعدا لتقبل الاعتذار ومتمنيا من أن يسمع تفاصيل الليلة الماضية من وجيه .

وجيه: أقسم لك يا (عريب) أنني لا أعرف أنها عشيقتك،هل تتخيل أن اعرف ذلك وأنت من أحسن إلى واستقبلني في منزله ! !

فأي نوع من البشر تعتقدني، وأقسم لك أيضا أنها لم تخبرني بعلاقتها بك بل إنها ادعت أنها لا تعرفك جيدا ،أو أنها أخبرتني ولم أفهم بسبب ضعف لغتي الإنجليزية،أرجوك اغفر لي غلطتي وأعدك بأنني سأصلحها.

عريب هز رأسه راضيا ،وترجلا إلى المنزل، منزل (ميتا) شربوا الشاي.

وأخبره (عريب) عن علاقته بها أي (مادولينا) تعرف بها منذ ثلاثة أشهر لكنه برغم محاولاته وإغداقها بالهدايا الثمينة إلا أنه لم ينل منها ومن جسدها بعد ،وهذا ما كان قاسيا فعلا .

انتهت القصة وذهب الجميع كل في طريق ولكن (عريب) كان يحاول أن يتجنب لقاء وجيه ويتجنب الصدفة .

عندما فكر وجيه بالموقف والتجربة وغاص داخل نفسه مستجديا الصدق،

لقد كان يعلم في قرارة نفسه أن (مادولينا) كانت عشيقة (عريب) لكنه أثر إظهار عدم معرفته وجهله مثله مثل (عبدو) .

لقد مر وجيه بالكثير من مواقف من هذا النوع ،بل إن الأضرار كانت أكبر،وأشد ألم وأثر يبقى إلى الأبد ، ،

كانت له تجارب مع نساء متزوجات ،وأوصلهم إلى الطلاق والانفصال مع أزواجهم ليشبع غريزته،وغايته دائما كانت النساء اللاتي تستعصي على معظم الرجال إن لم يكن كلهم .

أما أخر ضحاياه ،(دعد) والدكتور (سمور) .

أخر الضحايا (دعد) استطاعت أن تتغلب على غريزته وحاربتها بحرب الورود وانتصرت .

إن آخر انتصارات وجيه وأولى هزائمه كانت هي (دعد) .

كان انتصارا على غرائزه ونفسه.

أراد أن يحافظ عليها ليقنع نفسه أنه لا زال قادرا على تحقيق أحلامه،وربما كانت(دعد)تفكر بالمثل ،لقد فشلت تجربة زواجها ، وفشلت في عملها كصاحبة ومديرة مجلة .

ربما كانت تهرب من نفسها إليه وكان يهرب من نفسه إليها ،لأنها النور في حياته ،لأنها آخر قطرات العسل ومستقبل الرحيق القادم إنها (دعد) .

أخر انتصاراتهما معا .

هرول كلاهما نحو الزواج قبل أن ينكشف عجزه المادي والمعنوي أمام أهلها .

فكان الزواج ،وكان الاستقرار مزيف والبيت مزيف والأثاث مزيف والسيارة والأجهزة الكهربائية ،والمصاغ ......

كل شيء حتى أجرة مطرب حفل الزواج ومنسق الأزهار ، وقاعة الأفراح في فندق الخمسة نجوم .

كل شيء مزيف .....

وتزيد وضعه المادي سوء وانحدارا ، ،

لكن الفرحة كانت حقيقية ،ابتساماتهما حقيقية برغم الزيف الذي يملأ السماء .

المشاعر والسعادة كانت حقيقية ونابعة من القلوب والأرواح وكأن لسان حالهما يقول ،برغم كل شيء أنا أحبك،وعرسنا اليوم إنجاز إراداتنا التي لا يقهرها الفشل والانكسار.

اعتقد وجيه أن الفشل هو حاله ،وأنها ستذهب وسيتغلب عليها في القريب .

حاول أن يعقد الصفقات مع الطامعين لكنه عجز عن إتمام أي صفقة، ربما لان منطقه أصبح يرفض عمله .

لقد ملت نفسه من الزيف والخداع ......

أراد أن يتوقف ....

أراد أن يعود ألف خطوة ويبدأ من جديد ....

لكن الماضي شده إلى الخلف فلم يستطع إلى المستقبل سبيلا .

جُرِّدَ من كل ما يملك شيئا فشيئا برغم قتاله المستميت للحفاظ على شيء يحفظ ماء وجهه أمام نفسه .

كأنه يريد أن يقول لمرآته أنا ها هنا في البيت أو المعرض أو السيارة .

يريد أن يثبت وجهة نظره لنفسه بأنه يستحق كل ما فقد ،لكنه ما استطاع .

جُرد من كل شيء حتى كرامة الفقراء .

لم يكن يقوى على مواجهة ما ألت إليه نفسه ،جلس يوما إلى الطاولة ليكتب شيء .

كان في (القاهرة) ،في شقة مستأجره وكان له ذكريات جميلة في تلك الشقة .

ربما عاد إليها ليستجدي حلاوة الماضي القريب ولو في ذكرياته ،لربما حفزته إلى عمل أو فكرة يأتي بنقود منها ليسد عجزه رغم خسارته لكل شيء .

تناول ورقة وقلم وعنونها ،(وصيه !!!)

كتب وصيته كمن ينتظر الموت أو يستجديه ،أو أن الموت يـأتي بكبسـة زر سحرية ،كان مقدما على الانتحار أو التفكير به لأنه لم يعد يقـوى على مواجهة ذاته،وفشلها وانكسارها .

شعر بوحدة روحه قبل جسـده ،يتمشـى في أسـواق القـاهرة في البدايـة كان يبحث عن سيناريو الوصية أو عن طريقة مثلى لموتـه ،حريصـا ألا يظهر موته انتحاراً خوفا من أن يكون وصمة عار على أبنائـه حتـى في موتـه .

أخذ ينظر إلى كل ما يدور حوله وكأنـه سيراه أخـر مـرة،حـاول أخـذ نفس عميق ليختزل رائحة الأكسجين في صدره .

إلا أن ذاك النفس غير فكرته لقد كان الهواء في القـاهرة ملوثـا لدرجـة السم !!!

أخذ قرار بمغادرة (القـاهرة) إلى أي بلـد يسـتطيع أن يمـوت فيـه ،بعد اختزال أكسجين نظيف في صدره وهذا أقـل حقـوق نفسـه عليـه.

أضـحكته الفكـرة،قـرر أن يتمشـى ولا يفكـر في الانتحـار الآن علـى الأقل.......

لأن روحه تستحق أن تغادر جسده في مكان أقل صـخباً وأكثـر تحضـراً من (القاهره) .

يمشي باحثا عن أطيـاف مـن الماضـي ،مسـتجمعاً قـواه ليكـون كلمـة في جملة مبهمة لا يفهمه أحد .

كان في أمس الحاجـة إلى أحد ،ربما أصدقاؤه الـذين كـان أول مـن داسـه بأقدامهم .

كلمة واحدة يمكن لها أن تغير كل شيء ،يبحث عـن أي أحـد لا يـزال يؤمن به !!

كان يتمنى أن يسمع حروف اسمه من شفاه صادقة .

أما (منى) و(دعد) زوجتاه ،فقد كان كلام العزاء له منهم، أصعب على أذنه من سكاكين تمزق روحه ،كمن يستجدي الأمل مِمن لا أمل له.
يشعر بالبكاء أحيانا عليهم لأنه غرق وها هو يسحبهما إلى غرقه .

كان يحتاج إلى طوق نجاة كي ينقذ نفسه ، فأصبح يحتاج النجاة أكثر كي ينجيهم.

مما يثقل كاهله فوق ثقله،وتلبد سماء (القاهرة) بالتلوث ،فوق تلبد غيوم نفسه وروحه .
المسؤولية تزيد فوق كاهله ألف مرة مع كل مكالمة للعزاء والمواساة .
يمشي ويهمس مخاطبا نفسه، أنا مثل النار المشتعلة كل من يقترب مني يتأذى ،ربما من يبتغي الدفيء يناله من بعيد ،لكن من يقترب أكثر يحترق ويتشوه !!!!

تذكر يوما أنه سمع عبره من فيلم أمريكي.......

"عندما تتوه فيك الطريق عد الى نقطة البداية"

"العائلة كانت بدايته"

ربما العائلة !!

كان وجيه له من الأشقاء اثنين ،وخمس شقيقات إحداهن ماتت وهي في السابعة والعشرين من العمر ،اسمها (زهره).

ما كان لوجيه أن يعيَ العواطف وعند الفراق لَما أصابها مرض السرطان وكانت متزوجة وتسكن في حي الوحدات مع زوجها وأبنائها الخمسة،أصغرهم في الأشهر الأولى من العمر.

رحلت وتركت خلفها غيمة حزن داكنة اللون.

غيمة غلفت ،كل من حولها من أبناء وأنسباء وأصدقاء،والعائلة.

فأصبح الحزن فرعا في شجرة بتسعة أفرع، أولهم الأم (الحاجة أسماء)

ثم ،(صدقي وجيه) الشقيق الأكبر الذي تعود على الحزن والفراق منذ الصغر.

لقد كان في التاسعة عشر من العمر لما فقد أبوه وجيه الأب وفي الخامسة والثلاثين عند موت أخته (زهره).

(ناهده وجيه) وهي ذاتها أم عادل المتزوجة وأم لخمسة أطفال ،كانت تكبر الفقيدة (زهره) مباشرة .

(منال وجيه) وهي أم سعيد الذي يعمل لديه وهي الأخت التي تصغر الفقيدة مباشرتاً،أم وزوجه ...

الشقيق الثاني(مجدي وجيه) الذي يدرس في أمريكا،ثم (هاديه وجيه) الطالبة النجيبة المتفوقة التي تدرس في الجامعة.

وقبل الأخير(سلمى وجيه) الأخت التي تكبر وجيه،كانت بالنسبة له القائدة التي أطلعته على أسرار الكون في طفولته المبكرة،كانت اليد التي تمتد إليه وتفهم ما يريد ،كانت (سلمى)مدرسته الأولى التي طالما عاد إليها ليسمع همسها فوق أذنه تشجعه وتؤازره وتشد من عزيمته منذ الصغر .

كان يعود إليها ،إلى همسها الذي يشفي جروحه ويطبب روحه ،عند كل تحدٍ أو هزيمة ،عند كل انكسار.. تقلب الهزيمة نصرًاً،وتذكره بانتصاراته القديمة .

كانت حاجته إليها ولعاطفتها ،كحاجته لامه وعواطفها ،حتى أصبحت أخر ملاذاته الآمنة .

يكن لها حب عظيم يفوق الحب الأخوي .

كان وجيه يهاتفها كلما احتاج للإبتسامة التي تنير له طريقه .

الابتسامة التي تعبر عن السعادة بإنجاز أو انتصار كان يهاتفها وكأن لسان حاله يقول لها،، افرحي يا حبيبتي لقد نجحت ، صفقي لي لقد نجحت ،فتُسمعه ما يحتاج قلبه أن يسمع ،وكأنها تغرد فتطرب روحه ونفسه .

يهاتفها..وتهاتفه كلما احتاج إلى البكاء بعد كل انكسار أو فشل،كانت تفهم دموعه وتقرأها وتترجم آهاته الدفينة المغلفة بالكلام والحديث، كانت تمسح دموعه وتحضنه إلى صدرها الحنون وتربت كتفه وتستنهضه وتشد أزره بكلامها الذي يلمس روحه ، كان يسمع همسها الأزلي الذي لا يذكر غيره وكأنها ابنة الثامنة التي تهمس بإذن أخيها ابن الخامسة، تلملم حواسه وتحمسه وتمسح خوفه وتجدي روحه نفعها .

هكذا كانت (سلمى) ولا زالت ،ملاذ روحه اَلأَمْن.

اتصل بها لم يقل الكثير ،ألو مرحبا سلمى.

فأجابت وجيه ؟؟؟!!

أجهش بالبكاء هذا كان دوره ،ودورها كان كلام يواسي صميمه ويعيده إلى جذوره.

عرف وجيه ،أنه لم ينتهي بعد.

هكذا قالت (سلمى) له ،أنت لم تنتهي بعد لم تكمل نصف طريقك ، أين إرادتك ؟؟

أين جوهرتك الدفينة ، أين جوهرك ،نحن خلفك يا وجيه وأنا أمنت بك ولم أفقد إيماني بعزيمتك ....

أنت أخي وصديقي وسندي الذي يقويني عند لحظات ضعفي أمام ذاتي.

أنت مصدر فخر لي ولنا جميعا ،حتى الذين ينتقدوك هم ذاتهم يحاولون تقليدك .

الكل يحاول تقليدك ،بمشيتك، بطريقتك ،بابتساماتك حتى في مرضك

الكل يحاول تقليدك ، أأنت فشلت ؟؟ هذا الهراء بعينه !!!

حديثها هز كيانه وخاصة كلامها عن ((الإرادة))

تلك الكلمة التي تعني الحياة والتشبث بها.

*** *** ***

الإرادة الحرة

الإرادة الحرة...

هي هدية الإنسان التي كُبِّلْت.

هي الغريزة السامية التي انتزعت بفعل فاعل.

ليس هناك من يدعي أنه لا يشعر بها في داخله لكنها ليست صالحة للإستعمال .

لقد قيدتها الشرائع بقيود من ذهب مرصع بالماس وسجنتها داخل القصور والجنائن ،هي ذاتها المركب الذي فرقت عناصره، مما أفقدها فاعليتها .

الإرادة بلا حرية ، وحرية بلا إراده ، قد أدركها النظام ،

أدرك مدى خطورتها ففرقها لتصبح عدة صفاة وأوصاف .

ليس هذا وحسب ،بل إنه فتت عناصرها فأصبح للإرادة أصناف بعضها ممنوع وبعضها مسموح وللحرية أنواع .

الفاضل منها ممنوع والرذيل منها مسموح !

أدركها النظام والمشرع وحاول قتلها ولا يزال يحاول منذ الأزل.
إن اجتماعها كما هي في أصلها.

هو الخطر بعينه، الخطر الذي يزلزل الأرض تحت أقدامهم ويأتي بالعواصف والأعاصير فتقضي عليهم ،وتحرق عروشهم.

الإرادة الحرة هي إحدى فضائل الغريزة التي أدركها البعض وجعلها شعاره ،فكانت الثورات والانتصارات والتفوق والعدالة .

الطريق الصعب الذي نبذه المشرع وجرمه وأطلق عليه السيئ من الصفات.

قديما وصفها بالشعوذة،السحر،الكفر،الإلحاد وتطورت المسميات حتى أصبح جزء منها يسمى التطرف والإرهاب .
تعريف التطرف من وجهة نظر المشرع...

هو أن يكون لك رأي تدافع عنه وحرية مسلوبة تناضل لأجل تحريرها .

تحرر بالفكر يوصلك إلى أماكن غير محصنة بالفكر لكنها ممنوعة،وعليها حراسة مشددة تحكمها قوانين المشرع والشرائع.

أما الإرهاب : هو تجسيد لقدرة الإنسان على التغير ونبذ ما فرض عليه من لوائح وأوامر وحدود روحية وجسديه وعقليه تمنعه من البحث عن الفضيلة في ذاته المليء بالتشوهات.

ليس الإرهاب مقتصرا على أصحاب ديانة بحد ذاتها كما يعتقد البعض بل إنه وصف. اعتدى وتعدى على معظم المعتقدات والديانات على مر الأزمنة وحاربها بضراوة .

الإرادة هي القوة الكامنة داخل الروح ،لكنها تحتاج جهدا مضاعفا من الجسد والعقل .

لم يتبقى لوجيه من أمل بعد انكساراته وفقدان الثقة بذاته،، إلا الإرادة ،،

هل يبحث عن الإرادة في وجوه الناس ليصل قلوبهم ومن ثم جيوبهم ليسد حاجاته ؟؟!!

هل هذه الإرادة التي تكلمت عنها شقيقته سلمى ؟؟

أم يعود إلى البيت ويرسل بعض العروض الوهمية عبر الكمبيوتر المحمول ؟!

نظر وجيه نظرة فاحصة طويله إلى الماضي ....

ماضيه الحافل بكل أنواع الاحتيال

تفحص بعناية ما كان يحتفظ من أوراق هي كشف حساباته السابقة المليئة في البنوك والتي أصبحت خاوية .

بحث في الكمبيوتر عن كشف بأسفاره والبلاد التي زارها ومارس فيها بعض الأعمال.

..... لقد كانت كثيره !!!

لقد عمل بعدد كبير من الأصناف الوهمية التي كان من خلال عرضها بأسعار زهيدة، يصطاد ضحاياه الطامعين بربح كبير .

ما هي الإرادة المنشودة ،بلد جديد! أم صنف جديد! أم ماذا،تسائل وجيه وكان يقترب من الإجابة .

ربما الإرادة هي (وجيه) جديد.

عاد إلى البيت ،ولم يخرج منه إلا بعد بضعة أيام بغرض شراء السجائر التي نفذ مخزونه منها .

ثم عاد إلى المنزل ولم يخرج ،كان منزله بمثابة صومعة الراهب ،أو مغارة الناسك،أو فضاءات البوذي الذي يبحث عن الانسجام والتناغم مع الطبيعة.

مضت أيام كثيره لم يسمع فيها صوته،إلا صوته الداخلي الذي يشبه صوته ! !

ذلك الحديث الغريب التفاعلات التي تنتج عن الإنصات له وتمييز حواره مع ذاته .

كانت تلك الفترة عبارة عن فترة انتحار ثم موت ثم ولادة وحياة جديدة .

هذا كان قرار وجيه ولأول مرة في حياته يقتنع بالخطأ،يعدل ويصر على إصلاحه.

أمضى في كينونته ووحدته مع ذاته ما ينيف عن شهر.

شهر من الزمان لم يجب على مراسلاته التي كان يعمل عليها قبل دخوله إلى غيبوبته وصحوته.

كان ما زال يحاول عقد صفقة باستيراد كمية كبيرة من المعدات الإنشائيه من (بريطانيا) وكان يقوم بالمراسلة والرد يوميا ويتواصل عبر شخص اسمه (رون).

ولم يكن رون يتقن اللغة التجاريه، فكان يستعين برب عمله للترجمة وأخذ القرار.

أما كيف سيدفع ثمنها الذي لا يملك منه شيئا ؟؟

فكان هذا لب عمله،فأما أن يزور بوليصة شحن ،أو أن يقوم بتحويل زائف عبر الإنترنت

لكن بعد أن انقطع كل تلك المدة فلا بد أن الصفقة أنهت نفسها بنفسها وانتهت .....

لم يكن يفكر بأي شيء ولم يفكر في المستقبل فقد انصب تركيزه على استجواب نفسه وتعريتها وفضح أسرارها ونبش دفائنها.

لأول مرة يدير جهاز التلفاز منذ ما يزيد عن شـهر ،لأول مـرة يسـمع صوتا غير صوت نفسه يقول نعم .

فيلم أمريكي يحكي عن شخص انطوائي لا يتقدم في عمله لسـبب لؤمـه غير المبرر،غير محبوب إلا من قليل من الأصدقاء القدماء الذين لا زالوا على صداقته بعدما انفض معظم الناس من حولـه ،لـيس هـذا وحسـب بل إن زوجتـه لم تحتمل طباعه الانطوائيـة فطلقتـه.

يرفض أي دعوة لعشاء أو سهرة مع أصدقائه لمجرد الرفض ويعتذر عن مناسباتهم حتى أهمها لدرجة أنه لم يذهب لخطبة صـديقه الأوحـد . وكان على وشك أن يخسر حتى وظيفته المتواضعة .

والسبب أنه لا يستطيع إجبار نفسه على الضحك عنـدما يقـوم رئيسـه المباشرالفكاهي بطبعه بإلقاء نكتة أمام الجمع ليضحكه،كان على حافة الهاوية !!

تقدمه رجل في ساعة استراحته من العمل ،وبعد أن سلم عليه وعرفه بنفسه وكان يعرفه لأنه جمعهم نفس العمل في نفس المكان لعدة أعوام وقدم استقالته منذ فترة وجيزة .

نصحه هذا الزميل القديم أن يرافقه إلى اجتماع خاص يدعو فيه إلى التفاؤل.

في البداية لم يكترث ،إلا أنه وضع الدعوة في جيبه لأمر في نفسه.

دفعه الفضول إلى الذهاب للاجتماع،وكانت بدايتا جديدة وعصر جديد يحمل الكثير من المغامرة لأنه أخذ على نفسه عهد ألا يقول لا للحياة مهما كان السبب ..!!

بدأ عصر النعم والتفاؤل والإيجابية،في البداية لم يكن الأمر سهلا ... وأصابه الضعف في عدة مواقف .

إلا أنه كان يتذكر كلام المحاضر بخصوص العهد. عهدا قطعته على نفسك،فإذا نقضته فهذا يعني أنك لا تستحق الحياة لأنك خنت نفسك!!!

رغم كل الصعوبات إلا أن نعم انتصرت على لا.
والتفاؤل والإقبال على الحياة انتصرت على الانطواء والعزلة والسلبية،وكانت النتائج مذهلة.

في حقيقة الأمر كان وجيه بحاجة لمثل تلك الفكرة والنصيحة لكي يعرف كيف يبدأ .
أختار أن يجرب طريق الصدق مع الآخر مثلما جربها مع ذاته.

أول ما بدأ بعمله،فتح بريده الإلكتروني فوجد كم هائلا من الرسائل من (رون).

وأخرها كانت تساؤلاته عن سبب الإحجام عن الرد وقبول عرضه وخاصة أنه وافق على طريقة الدفع الذي طلبها وجيه.

أي أن سوء الطالع قد انتهت مرحلته !!!

وبإمكان وجيه العودة لما كان عليه قبل ذلك.

كأن طريقه كان مغلقا،وأصبح سالكاً .

بيد أن وجيه اختار الطريق الأصعب،وبعث برسالة ألكترونيه ردا على (رون) مفادها :

عزيزي رون اعتذر عن تأخري بالرد،ولكني لا أستطيع أن أقبل عرضك والسبب أنني كنت مديرا للشركة المراسلة واكتشفت نيتهم بالاحتيال عليك فرفضت وقررت ترك العمل .

أعتذر منك لأني لا أستطيع دفع ثمن بضائعكم المعروضة لأنني لا أملك مالا ،ولا أملك شركه وها أنا أحذرك من مغبة التعامل بطريقة الدفع المقترحة لأنها ليست طريقة سليمه وبها الكثير من المخاطرة .

وتقبل اعتذاري واحترامي (وجيه)

لم يستطع رون أن يترجم المصطلحات التجاريه فذهب إلى رب عمله طالبا المساعدة،وبعد أن قرأها مالك الشركة ،صعق لمحتواها ومعلوماتها وشكر ربه فرحا ،لأنه كان على وشك أن يقع في الفخ التجاري .

أما وجيه فقد شعر بارتياح لم يشعره قبل ذلك الحين ،وكأن حملا ثقيل قد أنيط عن كاهله .

وأدرك فائدة صدقه مع ذاته مع أنه لم يكن يملك من المال ما يسد رمقه وها هو يتحدى نفسه .

بطمعها واحتياجاتها ،ليس ضعفا فالفرصة متاحة ،بل صدقا واقتناعا بأنه سوف يجد الطريق السليم،ويعيد بناء ذاته على قاعدة نظيفة وصلبه.

اختلفت حياته كليا منذ تلك اللحظة،فأصبح يستمتع بكل حواسه التي فقد معظمها في رحلته الطويلة الشاقة التي مضت وأصبحت خلفه .

لقد كان يأكل لكي تمتلئ معدته ليعيش ،أصبح يأكل فيستمتع بالطعم والنكهة.

ابتسامته اصبحت صادقة بعد أن كان يرسمها زيفا وخداعا ليكسب ثقة احدهم او اعجاب اخر.

فأصبحت ابتسامته تفرحه.

في السابق كان يجالس الناس فلا ينظر إلى جوهرهم ولا يعطي الاهتمام بأكثر كلامهم لان تركيزه كان منصب على الناحية المادية منهم ،فلم يكن له صديق .

أما الآن فإنه يجالسهم بصدق بعيدا أن أي مبتغى مادي فأصبح له أصدقاء بحق .

اختفت ألام المعدة التي رافقته منذ أكثر من عشرين عاما ولم يجد لها علاج ناجح يشفيها .

أما نومه فأصبح طبيعيا بلا عقاقير وأدوية لم يكن قبلها يستطيع أن يأوي إلى فراشه بدونها .

كل تلك التغيرات حتى في المشاعر كانت تحفزه على البقاء والتمسك بعهده لنفسه....

لم تعد تغريه الصفقات المشبوهة،ولم يكترث عندما رأى أحد أصدقائه الجدد يتناول حقيبة مليئة بالدولارات ويعطيها لعميل لديه ثمن بضائع .

كان في السابق عندما يرى ذاك المشهد يصيبه نوع من خفقان القلب الشديد والشهوة لذلك المال وربما الحسد لأصحابه .

في صباح يوم مشرق جميل كان وجيه قد استيقظ باكرا ويشرب قهوته على الشرفة ويتصفح الإنترنت عبر الكمبيوتر المحمول ،ذهب لبريده الإلكتروني فوجد رسالة من (رون) مفادها الرجاء الاتصال للضرورة عبر بوابة المحادثة الإلكترونية .

أصابته الدهشة في تلك اللحظة وكاد أن يدفعه الفضول لكنه اعتبر فضوله انتهاك للعهد الذي قطعه على نفسه وخاصة أن الماضي يطلبه،قرر وجيه تجاهل الرسالة .

بعد دقائق ظهر على شاشة الكمبيوتر دعوة للحديث المباشر مع (رون) فقبلها وجيه بعد تردد وبدأت المحادثة بتبادل التحيات.

لكن طريقة الكتابة من جهة(رون) كانت مختلفه لأنه لم يكن يتقن اللغة التجارية ورموزها.

وكان وجيه يجد صعوبة في فهم ما يعنيه في السابق أما الآن فإن اللغة واضحة،لغة تجارية بحته فعرف على الفور بحكم خبرته أن محادثه ليس (رون).

سأل وجيه : لماذا رفضت الصفقة،مع أنها كانت فرصة جيدة لك وكان بإمكانك إتمامها بلا أية مساءلات قانونية .

رد وجيه: هل أنت السيد (رون) ..؟؟

صمت محادثه وكتب،لا أنا صاحب الشركة ولكن هل لي بسؤال .

كيف عرفت أنني لست (رون) ؟؟

أجابه وجيه : أستطيع أن أعرف من أسلوب الحوار وبحكم خبرتي.

أجاب محادثه : الحقيقة أنني معجب بك وبمراسلاتك منذ البداية، فقد كانت تنم عن خبرة ودراية ...

ولكنك لم تجبني عن سؤالي لماذا لم تتم الصفقة بعد أن كانت بمتناول يديك .

. .

أجابه وجيه: لدي قناعاتي بأن الخطأ لا يتزين ليصبح صواب ،وما كان الخطأ يوما طريق للصواب ...

وأنا يا سيدي اخترت الصدق والتعفف عن الخطأ، وتعلم أنني لو اخترت المال الخطأ على الصواب لنجحت بنظرك ، ولكنني سأكون أول الخاسرين وأقساهم خسارة ،لأنني سأخسر نفسي واحترامها .

فهل تستبدل الخسارة باحترامك لنفسك بكل ما تملك من مال؟

أجاب محادثه كاتباً باختصار: هل تستطيع أن تزورني في بريطانيا، لدي عرضٌ لك يمكن أن يعجبك وَخَاصَتًا أنني عرفت أنك استقلت من عملك.

أجابه وجيه باقتضاب، هل يناسبك الأسبوع القادم؟

أجابه محادثه :طبعاً بانتظار مكالمتك وكتب رقم هاتفه الجوال.

وصل وجيه مطار(هيثرو) ،بعد أن استقل الطائرة وكان راكبا من ركاب الدرجة السياحية.

كان وجيه في السابق لا يسافر إلى على درجة رجال الأعمال ،وَعَادَتًا تكون سيارة الأجرة بانتظاره لتحمله إلى فندق خمس نجوم، يكون وكيل السفر قد قام بحجز غرفة له.

هذه المرة ،سافر على الدرجة السياحية لأنه لم يكن يملك ما يكفي من المال ليسافر على درجة رجال الأعمال ،وعند وصوله قام باستخدام القطار السريع متوجها إلى محطة (فكتوريا) قاصدا فندقه الذي كان

حجز لنفسه غرفة به عن طريق الإنترنت وتصنيفه نجمة أو أقل ،لكن هكذا كانت مقدرته المالية تسمح .

كان خائفا قبل سفره من شعور الانكسار عندما يصل (لندن) والسبب أن وجيه له فيها أجمل الذكريات !!!

. .

لقد زارها مرات عديدة ،وكان وضعه المالي مختلفا. لم يكن يتنقل إلا بسيارة خاصه مع سائق.

. .

يسكن في أفخم الفنادق ويأكل في أفخم المطاعم وأماكن الليل المتعة المكلفة .

أما الأن فها هو يتنقل من خلال المواصلات العامة ويسكن في فندق متواضع في ساحة (فكتوريا) المكتظة .

لكن مخاوفه لم تكن في محلها ،بل على العكس !!!

لقد كان سعيداً والبهجة تملأ قلبه ،بل أنه تعرف بالأماكن الجميلة التي كان يمر بها في الماضي مسرعا فلا يرى منها إلا ما يخدع النظر ويفتن الألباب .

أمعن النظر في الناس ،فوجد ما يسر ناظره ،بعد أن كان في الماضي لا يرى إلا مصالحه من الناس .

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة مَسَاء.

اتصل وجيه بالرقم الذي كتبه له رب عمل (رون).

مرحباً سيدي ،أنا (وجيه) لقد وصلت لندن منذ ساعات.

على الطرف الأخر من الهاتف قال محادثه،أهلا بك.

لم أتوقع وصولك سريعاً ،يمكنك أن تناديني(أشلي) فهذا اسمي،ربما نستطيع أن نتقابل غداً مساءً،في موقع المعرض.

وجيه يسأله هل موقع المعرض هو ذاته المدون عندي على الرسائل الإلكترونية، سيد (أشلي).

أجابه: لا إنه يقع على أطراف مدينة (مانشستر) التي تبعد عن لندن مسافة ساعتين ونصف، إذا ركبت القطار السريع، يمكنك أن تحجز مقعدا على قطار الثانية عشر ظهراً، وعند وصولك ستجد (رون) بانتظارك بالمحطة، أعتقد أنك تعرف رقم هاتفه أليس كذلك؟

أجابه وجيه: نعم سيدي أعرفه وسأكون هناك في الموعد المحدد، وانتهت المكالمة إلى اللقاء.

لم تكن محطة (فكتوريا) تبعد عن الفندق.

ارتجل وجيه إليها سعيداً ومتفائلا بلا سبب، لكن هكذا كان شعوره، قد كان مختلفا عن السابق وخاصةً أنه يعرف المنطقة جيدا وله بها ذكريات قديمه، كان سعيد لأنه لم يعد يعتصر الذكريات القديمة ليتذكر ما كان قد مر به من أحداث جميلة في الأيام الغابرة.

كـان يشـعر بالرضـا عـن الحاضـر متناسـيا الماضـي بجمالـه ، قبحـه ، بنجاحاتـه ، وانـهزاماتـه،بحلوه ومره .

قام بحجز مقعد على الدرجة السياحية .

تفاجئ بتواضع ثمن التذكرة التي كان ينفق أضعافها في السابق لـيجلس بالدرجة الخاصة،خَاصَتَا أنه لا يملك الكثير من المال.

. .

توجه إلى الفندق المتواضع الذي لا تنقصه النظافة والترتيب والنظام،مع أنه غير مكلف .

. .

في تلك الليلـة ،أطلـق وجيـه لقدميـه العنـان تحـت رذاذ المطـر النـاعم المنعش .

مر بأماكن كان يعرفها لكنه رأها بمنظار أخر جميل.

تجول بالسوق وأمعن النظر بالتفاصيل الـتي تميـز (لنـدن) عـن غيرهـا بالعراقة في الرقي والتقدم والنظام.

في اليوم التـالي،كانـت السـاعة الثانيـة والنصـف عنـد وصـوله محطـة (مانشستر) الرئيسية،توجه إلى أحد كبـائن الهـاتف وقـام بالاتصـال، رد (رون) عليه وأعطاه وصف مكان الانتظار.

ما هي إلا ثوان حتى تقابلا وتصافحا وتبادلا التحية.
قاد سيارته ما يزيد عن ساعة للوصول إلى المعرض حيث السيد(أشـلي) ينتظر.

كان المعرض يقع في منطقة ريفية جميلة ،والشوارع تبدو مثل تفرعـات نـهر عظيم داخل غابات جميلة وكبيرة .

استمتع (وجيه) في المناظر الخلابة ، وكان يقول في نفسه يكفيني أنني أرى من الجمال ما كانت تعمى عنه عيني قبل ذلك .

إن لم يقدر لنا أن نعمل سوية ،فلن أعتبر نفسي قد خسرت وقت أو مال ، فأنا أرى ما لم أره قبل ذلك من جمال المنظر،وأتنفس هواء نقيا يطيل العمر.

كانت الساعة تزيد عن الرابعة بعشر دقائق عندما قابل وجيه السيد(أشلي) ،،

رجل في الخمسين من عمره أو تزيد .

طويل القامة مكتنز الجسد من غير إفراط،مما يتناسب مع عمره.

صافحه مبتسما مصافحة قوية تنم عن احترام .

كان المعرض يحوي من المعدات المستعملة ما يعجز وجيه عن إحصائهم لكثرتهم وتعدد أنواعهم.

دار بينهما حديث مقتضب ولكن مفيد وجلي.

سأله (أشلي) ماذا تعرف عن عملنا واختصاصنا ؟؟

وجيــه : أعــرف الكثــر ، وخاصــة متطلبــات أسـواق الشـرق الأوسـط، وأعرف الأسعار والتجار في عدة دول.

(أشلي) متسائلا ،هل تستطيع بيع ذلك الصنف،وأشـار إلى نـوع معـين من المعدات .

أجابه وجيه ،هذا يتوقف على السعر المطلوب .

عَرَضَ عليه (أشلي) أسعار جيدة مُقَارَنَتًا بسعر السوق .

وجيه،هز رأسه بقبول السعر،وأجابه نعم سيد(أشلي) أستطيع بيعهم خلال أيام زيادة عن سعرك عشرين بالمئة.

رد (أشلي) بغير استغراب ،إذن فلتبدأ من حيث تريد.

هل يناسبك مكتبي،أو يناسبك مكانك الخاص.

ابتسم وجيه وقال له ،أفضل مكان خاص بي.

أخذ كل ما يحتاجه من معلومات عن المعدات المراد بيعها ولم يسأل عن الفائدة المالية التي سوف يجنيها من وراء بيعهم .

كان سؤاله عن فندق رخيص الثمن يتوفر به أدوات الاتصال بالعالم الخارجي.

اصطحبه(أشلي) إلى نزلٍ ليس بعيد عن المعرض.

خلال الطريق دار بينهما حديث عام تخلله سؤال من (أشلي)

هل تشعر بالرضا عن نفسك سيد وجيه ؟؟؟

وجيه يرد على السؤال مع ابتسامة واضحة المعالم .

بدأت أشعر بالرضى عن نفسي منذ أن بدأت احترامها .

(أشلي) أعجبه الرد من خلال ابتسامة ممزوجة بالصمت وكأنه يستجمع في داخله سؤال آخر.

(أشلي) يسأل بعد برهة، إلى ماذا تطمح في عملنا سَويًّا إذا قدر لنا ذلك.

وجيه،أطمح إلى السعادة والرضا عن النفس.

(أشلي) يسأل والثراء!

وجيه،سيدي بعد تجاربي مع الثـراء،هنـاك ثـراء يجلـب السـعادة ،
وهناك سعادة تجلب الثراء !!!!!!!!

وهنك أيضا من الثراء ما يجلب التعاسـة والانحطـاط،أمـا هـذا الأخـير
فهو ما لا يعنيني ولا أتمناه.

(أشلي) هل تعلم يا سيد وجيه أن كلامـك وصـلني وفهمتـه،وأحترمـه
وسوف أقدم لك بقدر ما تقدم لي.
وجيه،أشكرك.
(أشلي) يتكلم في الهاتف الجوال ليسـأل عـن النـزل،ويقـوم بـالحجز.
وصل وجيه إلى غرفته المتواضعة الجميلة المريحة.
بعد أن كان في وداع (أشلي) على بوابة النزل .

قام بارسال بعض العروض لعدة تجار في دولة خليجية عبر البريد الإلكتروني.

ما هي إلا ثلاثة أيام حتى بدأت الرسائل تنهال على بريده، بين أخذ ورد، وصل إلى عقد صفقة مع أحد التجار، وتمت الصفقة وكانت في منتهى السهولة.

تمت المعاملات البنكية بين المشتري وشركة (أشلي) بنجاح وسرعة.

(أشلي) يصل إلى النزل ويطلب من وجيه مقابلته في قاعة الاستقبال .

أهلا سيد(أشلي)، يرد أهلا بك ،تمتد يده في جيبه ويعطي لوجيه ورقة سرعان ما عرف وجيه أنه شيك الأتعاب وكانت الصدمة السعيدة أن المبلغ المدون في الشيك يفوق ما كان يتوقعه وجيه بكثير.

كانت سعادته لا تقارن بأي لحظة سعادة مرت عليه خلال سنوات عمله السابقة وما تخللها من مبالغ ضخمة دخلت حساباته من صفقاته السابقة المشبوهة .

أخبره(أشلي) عن خطة العمل القادمة بعد أن صرح له أن البضائع التي قام ببيعها كانت بضائع شبه بائرة وكان وقوفها بالمعرض يشكل عبء عليه.

اقترح(أشلي) على وجيه أن يكون شريك في الربح على كل ما يقوم بتسويقه في دول الشرق الأوسط .

. .

أخبره وجيه أنه لا يملك من المال ما يستطيع أن يشتري به وأن المبلغ الذي يملكه بين يديه الآن هو كل ما يملك .

(أشلي) يقول لا تقلق لأنك زرعت الثقة بيننا بصدقك .

ولا أعتقد أنك سوف تطمع عندما أرسل لك البضائع التي تقدر بالملايين،لقد لامست ذاتك ،وأسهب بالحديث .....

يا وجيه أنا أرى نفسي بك ،وأنا أعرف نفسي جيداً وأميز ما يرى قلبي قبل عيني.

أعلم أنك قد كبحت جماح طمعك،وأنك هذبت خداعك وروضت غرائزك لتصبح الفضيلة عنوانك،والصدق رفيقك،والسعادة الحقيقية غايتك.

وأعلم أنك اصطدمت مع نفسك ونازعتها عن نفسك ....

وما أراه اليوم هي نفسك ومرآتها الحقيقية....

كما رأيتها أنت ،يستطيع أن يراها من حولك من أناس خاضوا تجاربك ووصلوا إلى موقعك. ، ، فوصلوا إلى السعادة ،والسعادة عدوى لكنها جميلة،لأنها تجرد الإنسان من أطماعه وأنانيته .

لم يستطع وجيه أن يخفي دموعه الممتزجة بابتسامة الرضا والسعادة.

تصافحا بقوة الجبال ،تعانقا بنعومة الورد ورائحته الزكية العطرة.

غادر وجيه إلى لندن ،وعاد حيث أتى وبدأ عمله الجديد.

واعتلي عرش نفسه .

تطور عمله وتفرع لعدة عواصم،وما هي إلا أشهر تقل عن عام،حتى أصبح اسمه وسمعته رأس ماله الذي لا يقارن بمال .

أما خسائره التي كان يبكي على أطلالها سابقاً .

فلم تعد تعنيه في شيء لدرجة أنه تصالح مع الماضي بعدما تسامى على الحاضر بصدقه وأمانته وصفاء سريرته .

يقول لسان حاله ،لكل إنسان مكان ينتقيه بنفسه،ولكل إنسان زمان يحدد وقته بنفسه أيضاً إن تعرية الذات أمام ذاتها هي البداية ،أما تحسس نتوءات وتشوهات غرائزنا فهي بداية العلاج.

إن الاعتراف الكامل للنفس عن أخطائها ،وأسباب الخطأ هو بداية الإصلاح ،إصلاح النفس التي جرتها الحاجة والمادة إلى مجارير الإنسانية .

لن يتوه الإنسان في عالمه الجديد لأن هناك من سبقه وفهم سر المعادلة.

معادلة الإنسان التي لا تجتزئ .

سوف يجد الصادق الصدق مُنْتَظَرًا أمامه فاتحا ذراعيه (مؤهلا ومسهلا) الطريق.

عندما يسمو الخداع على صفته،يصبح خبرة تحميه من خداع الآخرين.

عندما يسمو الطمع على نفسه ليصبح طموحاً للسعادة ورقي النفس.

عندما ينظر الإنسان إلى ذاته ،يحاسبها ويؤنبها، تصبح الأخطاء خطاً أحمر،لن يتجاوزه.

إن من يعبر حاجز ذاته الشائك منها ويدمي نفسه،لن يعود إلى شوكه وخطأه .

إن أي إنسان قادر على التوقف والوقوف عن خطئه وإصلاح ذات بينه بلا قيد أو شرط ......

لو خير الإنسان بين نفسه الحقيقية القابعة في أعماق ذاته ،وبين نفسه الظاهرة المتظاهرة بالرضا والسعادة الزائفة،التي اكتسبت من شذوذ المجتمعات وأخطائها ما لا يمسحه إلا مجابهة ذاته وجه لوجه نفسك هي اختيارك،فليكن أختار نفسك ما تتمناه لمن يتبعك ويقتدي بك.

*** *** ***


خاتمة المؤلف

عندما يسمو الخداع على صفات الشخص ،يصبح خبرة تحميه من خداع الآخرين !

وعندما يسمو الطمع على نفسه يصبح طموحاً للسعادة ورقي النفس.

عندما ينظر الإنسان إلى ذاته ،يحاسبها ويؤنبها، تصبح الأخطاء خطا أحمر،لن يتجاوزه .

إن من يعبر حاجز ذاته الشائك منها ويدمي نفسه،لن يعود إلى شوكه وخطأه.

أي إنسان قادر على التوقف والوقوف عن خطئه وإصلاح ذات بينه بلا قيد أو شرط..

لو خير الإنسان بين نفسه الحقيقية القابعة في أعماق ذاته وبين نفسه الظاهرة المتظاهرة بالرضا والسعادة الزائفة، التي اكتسبت من شذوذ المجتمعات وأخطائها ما لا يمسحه إلا مجابهة ذاته وجه لوجه

نفسك هي اختيارك، فليكن أختيار نفسك ما تتمناه لمن يتبعك ويقتدي بأثرك.

❋❋❋ ❋❋❋ ❋❋❋

فهرس

م	المقطع	الصفحة
١	أمام المرآه	٦
٢	الخداع	٣٥
٣	ثمن البقاء	٥٣
٤	الطمع	٧٩
٥	مرآة النفس	٨٧
٦	الشهوة والعاطفة	١٢٥
٧	العقاب	١٥٣
٨	الإنكسار	١٦٩
٩	الغرائز	١٧٦
١٠	الإرادة الحرة	٢٠٩
١١	خاتمة المؤلف	٢٤٢

للحقيقة وجهان / حلمي السيومي

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٢٠٠٩/٧٥٢٤ - رواية

جمهورية مصر العربية

صوت القلم العربي

إن الاعتراف الكامل للنفس عن أخطائها, وأسباب الخطأ هو بداية الإصلاح,
إصلاح النفس التي جرتها الحاجة والمادة إلى مجارير الإنسانية.
لن يتوه الإنسان في عالمه الجديد لأن هناك من سبقه وفهم سر المعادلة.
معادلة الإنسان التي لا تتجزأ
سوف يجد الصادق الصدق منتظراً أمامه فاتحا ذراعيه (مؤهلا ومسهلا)
الطريق.

عندما يسمو الخداع على صفته, يصبح خبرة تحميه من خداع الآخرين.
عندما يسمو الطمع على نفسه ليصبح طموحاً للسعادة ورقي النفس.
عندما ينظر الإنسان إلى ذاته, يحاسبها ويؤنبها, تصبح الأخطاء خطا أحمر لن
يتجاوزه.

إن من يعبر حاجز ذاته الشائك منها ويدمي نفسه, لن يعود إلى شوكه وخطأه.
أي إنسان قادر على التوقف والوقوف عن خطئه وإصلاح ذات بينه بلا قيد أو
شرط..

لو خير الإنسان بين نفسه الحقيقية القابعة في أعماق ذاته, و
الظاهرة المتظاهرة بالرضا والسعادة الزائفة, التي اكتسبت م
المجتمعات وأخطائها ما لا يمسحه إلا مجابهة ذاته وجه ل
نفسك هي اختيارك, فليكن اختيار نفسك ما تتمناه لمن يتبعك





مؤسسة صوت القلم للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربيه- المنوفيه - تلا
E-Mail:info@3lsooot.com
Site:www.3lsooot.com
تصميم حورس - 0020161265676